مركز الدراسات والمعلومات القانونية
لحقوق الإنسان

السعودية







الإخوان المسلمون

د/ محمد أبو الإسعاد

السعودية



الإخوان المسلمون

د/ محمد أبو الإسعاد

الكتاب : السعودية والأخوان المسلمون

المؤلف : دكتور محمد أبو الاسعاد

تصميم غلاف : مهندسة إنجى أبو الاسعاد

مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان
٧ - ش الحجاز روكسى مصر الجديدة
ت : ٤٥٢٠٩٧٧
ف : ٢٥٩٦٦٢٢

رقم الإيداع ١٠١٤٢ / ٩٦

الترقيم الدولى I.S.B.N.
977 - 5421 - 11 - X

مدخل إلى الدراسة



محمد علي باشا



محمد بن عبدالوهاب

" مدخل إلى الدراسة "

فى عام ١٩١٢أسس الإمام عبد العزيز بن سعود جماعة الأخوان الوهابية فى نجد وإستمرت هذه الجماعة قائمة حتى عام ١٩٢٨ عندما إصطدمت بمؤسسها فى صراع دامى انتهى بالقضاء عليها فى عام ١٩٣١ .

وفى عام ١٩٢٨ أسس الامام حسن البنا جماعة الأخوان المسلمين فى مصر واستمرت هذه الجماعة قائمة حتى عام ١٩٤٨ عندما إصطدمت بالحكومة المصرية صداما داميا أسفر عن حلها ثم أغتيال مؤسسها حسن البنا ١٩٤٩ .

والسؤال الذى تطرحه هذه الدراسة وتحاول أن تجيب عليه هو .. هل هناك ثمة علاقة بين تجربة جماعة الأخوان الوهابية فى السعودية .. وبين تجربة جماعة الأخوان المسلمين فى مصر ؟!

وسوف تقتصر محاولتنا فى الاجابة على هذا السؤال على الفترة التاريخية الممتدة من نشأة جماعة الأخوان الوهابية فى السعودية عام ١٩١٢ وحتى تصفيتها عام ١٩٣١ ومن نشأة جماعة الأخوان المسلمين فى عام ١٩٢٨ وما تلاها من تطورات حتى حلها ١٩٤٨ وإغتيال مؤسسها حسن البنا ١٩٤٩ .

لكن هذه الاجابة لا يمكن ان تكتمل إلا داخل اطارها التاريخى

الذى يمتد إلى مطلع القرن التاسع حيث تواجد على ساحة المنطقة نموذجان متناقضان .. الأول هو نموذج المجتمع السلفى والدولة الدينية .. والثانى هو نموذج المجتمع المدنى والدولة الحديثة .

وقد تمثل النموذج الأول فى الدولة السعودية (الأولى) التى نشأت حوالى منتصف القرن الثامن عشر فى شبة جزيرة العرب وقامت على أساس تحالف دينى سياسى بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وأقامت مجتمعا سياسيا دينيا على أساس المذهب السلفى الوهابى الذى تعصب لنفسه ورفض ما عداه من مذاهب وعقائد وقام بتكفير الآخرين ورفع شعار الجهاد فيما حوله من قبائل ومجتمعات ودول اسلاميه أما النموذج الثانى فقد نشأ مع مطلع القرن التاسع عشر على يد محمد على فى مصر حيث حاول إقامه مجتمع مدنى يقوم على قيم العصر الحديث ويأخذ بعلومه وفنونه ويعتمد على تحديث المجتمع والأخذ من الحضارة الأوربية الحديثة .

وكان من الطبيعى أن يتصادم النموذجان الدينى والمدنى، ويتصارع المجتمعان المصرى والسعودى بحكم التناقض القائم بين طبيعة النظامين .. ومن ثم شهد القرنان التاسع عشر والعشرون حلقات من الصراع بين النظامين انتصر فيها النظام المدنى الحديث الممثل فى مصر حينا وإنتصر النظام الدينى المثل فى السعودية حينا آخر .

وقد أثر هذا الصراع فى تاريخ المنطقة العربية تأثيرا واضحا ، ففى

الفترات التى علا فيها شأن مصر كانت المنطقة العربية تشهد حركة تحديث وتحضر وإنفتاح على الحضارة الحديثة .. أما الفترات التى كان يعلو فيها شأن السعودية فكانت المنطقة العربية تتعرض لتيارات المد الديني والأنماط السلفيه والعزله عن العصر ... ومن ثم يمكننا القول بأن تطور الأحداث فى المنطقة العربية إرتبط بدرجة أو أخرى بطبيعة الصراع بين النموذجين المدنى المصرى الحديث، والدينى السلفى السعودي.

وبهزيمة يونيه ١٩٦٧ انهار المشروع التحديثى المدنى فى مصر وعلا شأن النموذج الدينى السعودى ومن ثم دخلت المنطقة العربية الى ما يعرف بالحقبه السعودية حيث أصبحت السعودية مركز الثقل فى أحداث المنطقة وتقرير مستقبلها وعلا المد الدينى وإنتشرت تيارات الاسلام السياسى فى المنطقة العربية خاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ولذلك فإن مصر فى مرحلة الإنحسار الحضارى الذى تعانيه فى هذه الحقبه من تاريخها تتعرض لما يمكن أن نطلق عليه الغزو السعودى الدينى للنموذج المصرى المدنى فى محاولة لحسم هذا الصراع التاريخى الطويل بين النموذجين الدينى السعودى والمدنى المصرى .

فى إطار هذه البانوراما التاريخيه يمكننا أن نتناول تاريخ جماعة الأخوان المسلمين ودورها فى المجتمع المصرى منذ نشأتها عام ١٩٢٨

وحتى اليوم فقد نشأت تجربة جماعة الأخوان المسلمين داخل النسق العام لهذا الصراع التاريخى وفى إطاره .

لكن أحداً من المؤرخين لم يعن بمحاوله الكشف عن موقع تجربة جماعة الأخوان المسلمين داخل هذا النسق بل انصرفوا لدراسة تاريخ جماعة الأخوان المسلمين بمعزل عن المؤثرات التاريخية التى تحيط بها فى المنطقة العربية .

وانحصرت رؤية المؤرخين والسياسيين لجماعة الأخوان المسلمين فى إطارها المصرى المحلى وإعتبارها رد فعل للقوى اليمنية المحافظة فى مصر لمواجهة تنامى حركة التحديث المصرية منذ عشرينات هذا القرن وعلو شأن الاتجاه التغريبى وظهور الأفكار التنويريه وشيوع الليبراليه .

لكن هذه الدراسة تكشف لنا أن نشأة جماعه الأخوان المسلمين عام ١٩٢٨ لم تكن شأنا مصريا خاصابمعطيات الصراع الداخلى فى مصر بل إنها ارتبطت منذ نشأتها بالصراع التاريخى فى المنطقة العربية بين الاتجاه السلفى الاسلامى والاتجاه المدنى الحديث والصراع السعودى المصرى على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين .

وهذا هو الذى يفسر لنا الانتشار الواسع لجماعة الأخوان المسلمين فى مختلف الأقطار العربية وتصاعد الاتجاهات السلفيه فى انحاء المنطقة العربية بتصاعد النفوذ السعودى فى الأونه الأخيرة .

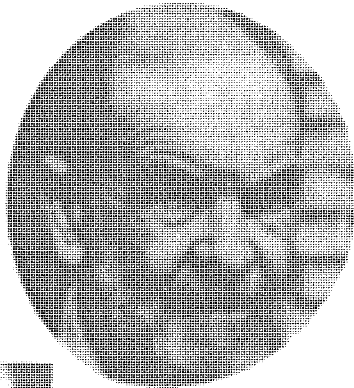
ولذلك فأهمية هذه الدراسة ترجع الى أنها لا تقف فقط عند حدود محاولة إكتشاف العلاقة بين تجربة جماعة الأخوان المسلمين فى مرحلة النشأة وبين الصراع القائم فى المنطقة بين النموذجين المدنى المصرى والدينى السعودى .. بل تمتد أهمية هذه الدراسة لتفتح الباب أمام المؤرخين لإعادة دراسة تاريخ جماعة الأخوان المسلمين فى مراحل تاريخية تاليه داخل هذا الاطار التاريخى ... ومن ثم يمكن أن تتكشف أمامنا حقائق جديدة عن مراحل الصدام بين جماعة الأخوان وبين الثورة المصرية فى عام ١٩٥٤ و ١٩٦٥ .. كذلك فأن هذه الدراسة تفتح الباب أمام المهتمين بدراسة حركات الاسلام السياسى وظاهرة العنف والارهاب التى إستشرت فى المنطقة بوجه عام وفى مصر على وجه الخصوص خلال ربع القرن الأخير وأن تعيد دراستها داخل إطارها التاريخى وتضعها فى نسقها الأيديولوچى .

دكتور / محمد أبو الاسعاد

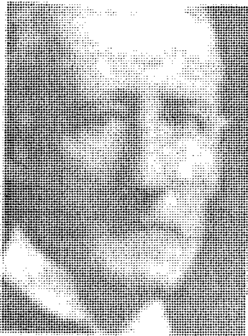
القاهرة - ١٩٩٥

الفصل الأول

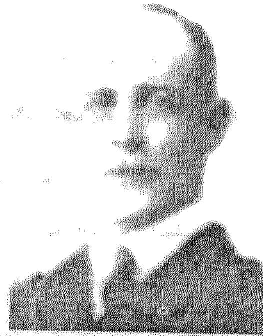
جماعة الإخوان الوهابية



فيلبي



سير برسي كوكس



شكسبير

جماعة الإخوان الوهابية

الصراع الدولى :

فى أخريات القرن الماضى إشتد الصراع الدولى بين الدول الأوربية العظمى، وأصبحت أملاك الدولة العثمانية (الرجل المريض) ميدانا للتنافس الدولى ومطمعا للدول الإستعمارية .

وكانت خطة بريطانيا الإستعمارية بعد أن تم لها إحتلال عدن ثم مصر والسودان تتطلع الى السيطرة على منافذ الخليج العربى(الفارسى) وتأمين خطوط مواصلاتها البحرية إلى امبراطوريتها فى الهند والشرق الأقصى .

أما خطة ألمانيا الدولة الإستعمارية المنافسة لها فقد قامت على التقارب مع الدولة العثمانية والتغلغل الاقتصادى فى أملاكها عن طريق بناء شبكة للسكك الحديدية تصل مابين الدولة العثمانية وولاياتها فى الشام والحجاز وبغداد وحتى سواحل الخليج العربى .

الصراع فى جزيرة العرب :

داخل نسق هذا التنافس الاستعمارى نجحت بريطانيا فى دفع عميلها الشيخ مبارك الصباح إلى قتل أشقائه والإستيلاء على حكم الكويت وعقدت معه معاهدة ضمن سلسلة المعاهدات التى فرضت بها الحماية البريطانية على مشيخات الخليج، ومن ثم أصبحت الكويت

محمية بريطانية منذ عام ١٨٩٩ .

وفى هذا الظرف التاريخى .. ظهر عبد العزيز آل سعود إلى مسرح الأحداث .. فقد كان لاجئا مع أسرته فى الكويت بعد إنتصار آل الرشيد على آل سعود وطردهم من نجد عام ١٨٩١، وكان عبد العزيز قد إلتحق بخدمة مبارك الصباح وعن طريقه استطاع ان يقيم نوعا من الإتصال بالقنصلية البريطانية فى الكويت وبرجال المخابرات فى حكومة الهند البريطانية .

وداخل نسق الصراع الدولى والمحلى بين آل الصباح فى الكويت ومن خلفهم بريطانيا وبين آل الرشيد فى حائل ونجد ومن خلفهم الدولة العثمانية .. وجد عبد العزيز آل سعود مجالا لطموحاته فى إسترداد ملك آل سعود، ومن ثم إستطاع بمغامرة جريئة أن يستولى على مدينة الرياض ١٩٠٢ وأن يصبح أميرا عليها وهو مازال بعد فى الثانية والعشرين من عمره ... وبذلك قامت الدولة السعودية (الثالثة) بدعم من حاكم الكويت ووكلاء حكومة الهند البريطانية الإستعمارية .

وقد ظل عبد العزيز آل سعود لعشر سنوات (١٩٠٢/١٩١٢) يخوض صراعا محموما مع آل الرشيد للسيطرة على هضبة نجد وإخضاع قبائلها ضمن سلسلة من الحروب القبلية والغزوات العشائرية . واستمر نفوذه يتصاعد حتى أصبح أقوى أمراء هضبة نجد .

ولم تفلح الدول العثمانية فى كسب ولائه فقد كان حريصا على

الدعم المادى والعسكرى والسياسى الذى يتلقاه من الانجليز وعملائهم فى منطقة الخليج العربى، ولذلك إنتهز أزمة الدولة العثمانية وهزائمها ١٩١٢ فطرد الحاميات العثمانية واستولى على منطقة القصيم ثم أستولى ١٩١٣ على الإحساء والقطيف وبذلك أصبح عبد العزيز آل سعود القوة الرئيسية فى وسط جزيره العرب وشرقها .. وأصبحت طموحاته بغير حدود .

علاقات آل سعود بالإنجليز :

بنى عبد العزيز آل سعود طموحاته السياسية على ركيزتين ..

الركيزة الأولى .. هى الإستناد الى القوة الدولية الكبرى آنذاك وهى بريطانيا العظمى .

والركيزة الثانية .. هى إنشاء ميليشيات عقائدية مسلحة تكون أداته العسكرية لتحقيق طموحاته السياسية .

لذلك نجد أن عبد العزيز آل سعود استطاع منذ وقت مبكر منذ عام ١٨٩٩ عن طريق حاكم الكويت مبارك الصباح أن ينسج نوعا من الإرتباط والتبعية للسياسية البريطانية التى كانت بدورها حريصه على الإتصال بجميع القوى السياسية فى المنطقة العربية وتوجيهها لخدمة مصالحها الاستعمارية .وقد زادت هذه العلاقات بعد أن إستعاد آل سعود نفوذهم كحكام للرياض ١٩٠٢ ثم توثقت عرى هذه العلاقة

بالإتفاقيات السريه التى تمت بين الطرفين ١٩٠٤ وتلقى عبد العزيز آل سعود دعما ماديا وسياسيا وعسكريا من بريطانيا ساعده على بسط نفوذه على نجد والاستيلاء على الإحساء والقطيف ١٩١٣ .

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ زاد الدعم البريطانى وأصبح (الكابتن شكسبير) رجل المخابرات البريطانية ممثلا لبريطانيا العظمى فى بلاط الأمير السعودى، ولما قتل ١٩١٥ حل محله رجل مخابرات إنجليزى آخر هو (چون فيلبى) الذى أشرف على تنظيم القوة العسكرية السعودية وتسليحها وكسب الأنصار للنظام السعودى وإحياء العقيدة الوهابية وتوظيفها سياسيا لخدمة الأغراض البريطانية السعودية المشتركة .

ثم عقد الإنجليز مع عبد العزيز آل سعود معاهدة (دارين - ٦ ديسمبر ١٩١٥) التى كان هدفها - كما جاء فى ديباجتها - توطيد العلاقات الوديه التى مضى عليها وقت طويل بين الطرفين، ومن ثم نصت المعاهدة على إعتراف الانجليز بعبد العزيز آل سعود حاكما على نجد والاحساء والقطيف وجبيل وتوابعها، ومده بالمساعدات المالية والعسكرية وزيادة راتبه الشهرى من خمسمائة جنيه إسترلينى إلى خمسة آلاف جنيه وذلك فى مقابل خضوع ابن سعود للنفوذ البريطانى وقبوله للحمايه البريطانية والتزامه بحماية طرق الحج والمحافظة على الحدود وعلاقات حسن الجوار مع الكويت والبحرين وقطر وسواحل عمان

الخاضعه للنفوذ البريطانى .

وقد داعب المندوب السامى البريطانى (برسى كوكس) طموحات عبد العزيز ووعده بحكم حائل بدلا من آل الرشيد وحكم الحجاز بدلا من الهاشميين وحكم عسير بدلا من الآدارسه كما مناه بالخلافه الاسلامية بعد هزيمة الأتراك فى الحرب العالمية، وأعلن عبد العزيز آل سعود ردا على ذلك ... إنه لن ينسى لبريطانيا هذا الفضل مدى حياته وأنه سيبقى خادما مطيعا ومنفذا لكل ما تريده بريطانيا العظمى .

جماعه الإخوان الوهابية :

أما الركيزة الثانية لحكم آل سعود ... فكانت إنشاء ميليشيات عقائدية مسلحة تكون أداة عسكرية لتحقيق طموحات العرش السعودى... وقد تفتقت عبقرية آل سعود ومعاونوهم من رجال المخابرات البريطانية عن تأسيس جماعة الأخوان الوهابية .

وقد أقتبس إسم الجماعة من الأخوة الإسلامية فأطلقوا على أنفسهم إسم جماعة الأخوان .. وأضاف إليها المؤرخون لفظ الوهابية تميزا لهم عن غيرهم من الجماعات الإسلامية .

ومؤدى تجربة الأخوان الوهابية هى تجميع البدو الرحل الذين كانوا يشكلون أكثر من ٧٠ ٪ من سكان هضبة نجد، وكانوا يعيشون حياة جاهلية تقوم على الصراعات القبلية وتعتمد على الغزو والسلب والنهب

والقتل والتخريب ... ثم توطينهم فى واحات زراعية عرفت باسم الهُجَرْ كنايه عن هجرتهم للمجتمع الجاهلى وإنتقالهم إلى المجتمع الاسلامى الحقيقى .

وفى هذه الهُجَرْ يتعودون على الإستقرار ويتعلمون الزراعة ويتعرفون على أمور دينهم ويمارسون شعائرهم وفقا للمذهب الوهابى .. كما يتم فى هذه الهجر استغلال النزعات الحربية لدى هؤلاء البدو وتنظيمها من أجل تحقيق الأهداف السياسية للعرش السعودى تحت دعوى الجهاد الدينى ونشر الإسلام الحقيقى .

وقد أنشئت أول الهجر فى واحة (الأرطاويه) ١٩١٢ وتم تجميع البدو من قبيله مطير وتوطينهم فى منازل وحفر الآبار وتعليمهم الزراعة وبناء مسجد وتعيين (المطوعه) من رجال المذهب الوهابى لتعليمهم الدين وإقامه شعائره وفقا للأصول السلفيه .

وبالاضافة إلى ذلك كانت الهجر بمثابه ثكنات عسكرية يتم فيها تنظيم الأخوان عسكريا ولتسليحهم للقيام بعمليات الحرب والغزو تحت شعار الجهاد الدينى مقابل حصولهم على بعض العطايا من آل سعود إلى جانب نصيبهم من غنائم الحروب والغزوات .

وقد بلغ عدد الاخوان فى هجرة الأرطاويه عشرة آلاف، وقد عين فيصل الدويش زعيم قبيلة مطير أميراً وقائداً وإماما لجماعة الأخوان الوهابية فى الأرطاويه.

وقد إستفاد عبد العزيز آل سعود من الدعم المالى الذى كان يتلقاه من الإنجليز فى التوسع فى إنشاء الهجر فأمتد نظام الهجر الى أنحاء عديدة من نجد وشمل معظم قبائلها مثل مطير وعتبه وقحطان وحرب والدواسر وغيرهم وزاد عدد الهجر على المائة يقيم فى كل منها نحو عشرة آلاف نسمه وزاد جملة مقاتليهم على الخمسين ألف مقاتل .

ويجمع المؤرخون على أن تكوين جماعة الأخوان الوهابية لم تكن بهدف دينى كما يبدو من ظاهرها ولكنها فى حقيقة أمرها عملية تسييس للدين واستخدامه فى عمليات الصراع السياسى حول الحكم. . كما يتفقون على أن إقدام عبد العزيز آل سعود على هذه التجربة كان بهدف خلق جيش يختلف فى مفهومه وعقيدته القتاليه وفى نوعيه وأسلوب القتال عن الجيوش البدوية التى تقف أهدافها عند حدود الغزو والثأر والولاء للقبيله وذلك إدراكا منه بأنه لا يستطيع اقامه سلطته المركزية وبناء دولته التى يتطلع إليها فى مجتمع قبلى عشائرى غير مستقر ترفض السلطة المركزية بسبب الخوف من الضرائب والتجنيد وفقدان الاستقلال ويتغير موقف القابئل والعشائر بين المتنافسين على السلطة طبقا لما يستشعرونه من قوتهم أو مايرجونه من مغانم .

مبادىء التربية العقائدية لجماعة إخوان الوهابية :

لعل أخطر ما فى تجربة جماعة الأخوان الوهابية هو البناء العقائدى الذى كان يتم على أساسه صياغة الأخوة الوهابية فقد تم الاستيلاء على

عقول البدو وإستلايها ثم اعادة صياغتها فى قوالب فكريه جامدة وإحاطتها بسياج ضيق من تعاليم الوهابية التى يمكن ايضاح أهم ملامحها فيما يلى :-

١- العقلية السلفية النصيه :

فقد قامت الوهابية على أساس الدعوة الى العودة بالإسلام إلى أصوله الصحيحة التى كان عليها فى عهد النبوه وعهد السلف الصالح من خلفاء المسلمين، ومن ثم فهى دعوة سلفيه ترنوا بأبصارها إلى الماضى دون الحاضر أو المستقبل، ويترتب عليها خلق عقليه سلفيه تتجاوز الواقع وتتجاهل المستقبل وتقف عند حدود الماضى تحاول إحيائه وبعثه من جديد دون إتاحة فرص الاجتهاد ليتوافق هذا الماضى مع متغيرات الزمن .

لذلك فالعقلية الوهابية تتمسك بحرفية النصوص الدينية كما وردت فى القرآن والحديث ومن تعتمد هم من فقهاء الحنابله، ومن ثم فهى عقليه نصيه جامده ليس فيها مجال للإجتهاد وإعمال العقل بل تقف عند ظاهر النص وحدود النقل .

ويرى المحللون أن هذه العقلية السلفية النصية هى نتاج طبيعى للمجتمعات البدوية المتخلفة فهذه المجتمعات تعيش فى عزلة حضارية ضربت سياجا كثيفا على امكانيات العقل والاجتهاد والابداع ومن ثم الإحساس بالعجز عن إمكانية تطوير الواقع إلى الأفضل وبالتالى فقدان

الأمل فى المستقبل والانصراف إلى الماضى ·

٢- التطرف الدينى :

إذ قامت الوهابية على أساس التشدد والتطرف فى أمور الدنيا والدين، وتميزت أحكامها بالصرامة والحديه فمن يتخلف عن صلاة الجماعة بدون عذر شرعى قد تصل عقوبته الى حد الموت والتدخين إثم كبير قد تصل عقوبته أيضا الى القتل والموسيقى رجس من أعمال الشياطين يحرم سماعها وحلق اللحية أيضا من الأمور المحرمه ·

ويرى المحللون أن هذا التشدد والتطرف هو إنعكاس طبيعى لحياة البادية الصحراوية القاسية وحياة البدو الجافة والفقيرة والخشنة ومرحلة البداوة والتوحش التى يعيشها هؤلاء البدو والتى تخلو من كل مباهج الحياة الحضارية ·

٣- التعصب والاستعلاء الدينى :

فقد إعتبر الاخوان الوهابية أنهم وحدهم هم المسلمون ومن ثم فهم يتميزون على غيرهم من كفار المسلمين أو كفار الأديان الأخرى، وبالتالى نظروا إلى الغير بتعصب شديد وبإستعلاء أشد وعاملوا الآخر بعداء وقسوة وتطرف الأمر الذى يمكننا معه أن نقرر أن هذه الصياغه المتعصبه والقائمة على أساس الإستعلاء الدينى والتى أصابت الشخصية الوهابية بالشيفونيه الدينيه كانت فى حقيقة أمرها نوعا من التعويض

عن الاحساس بالتخلف الانسانى والدونيه الحضارية .

٤ - رفض مظاهر الحضارة الحديثة :

كذلك فقد وقفت الوهابية موقفا معاديا من الحضارة الحديثة ومنتجات العقل الانسانى فكانوا يرفضون المخترعات الحديثة ويرون أن جهاز اللاسلكى هو العفريت الذى تكلمت عنه الأساطير والراديو والتليفون والسيارة هى من أعمال السحر التى أخترعها الشيطان ليضلل المسلمين عن دينهم وكانوا يطلقون على الدراجة حصان إبليس كما كانوا يرفضون الأسلحة الحديثة من مدرعات ومصفحات ويتمسكون بالخنجر والسيف والبندقية ويعتقدون أنه بفضل الايمان يمكن لهذه الأسلحة أن تتغلب على الأسلحة الحديثة .

٥- التكفير والجهاد :

على أن أخطر ماجاءت به الوهابية هو مبدأ التكفير فقد إعتبرت الوهابية أنها دون غيرها من المذاهب والملل والنحل الاسلامية هى التى تمثل الإسلام الصحيح وان كل من لا يؤمن بمبادئها لا يكون مسلما وكذلك المجتمع الذى لا يستجيب لمبادىء الدعوة الوهابية وينقاد لها فأنه يكون مجتمع كافر .

ولم تقف الوهابية عند هذا الحد من التكفير لغيرها من الأفراد والمجتمعات بل أضافت إليه مبدأ الجهاد إذ لا يكفى الإيمان بمبادىء

الوهابية بل يجب الجهاد من أجلها فإذا لم يقم المسلم بالجهاد من أجل هذه المبادىء الدينية يكون مرتدا عن الاسلام وينتهى أمره بالكفر ٠

ويرى المحللون أن مبدأ التفكير والجهاد كما صاغته الوهابية كان إنعكاساً لطبيعة الحياة البدوية المتخلفة فى هضبة نجد واستجابه لنزعات هؤلاء البدو فى الغزو والقتال والحصول على الغنائم والسبى ٠

ويرى علماء الاجتماع البدوى وعلى رأسهم إبن خلدون أن الغزو وما يصاحبه من مغانم وسبى كان شيئا أساسيا فى حياة البدو الجدباء وظاهرة ملحوظة فى كل المجتمعات البدوية على مر التاريخ. فقد كان الغزو بالنسبة للبدوى هو سبيل الحياة التى لا يستطيع أن يعيش بدونها وهو سبيل القوة التى لا يستطيع أن يتنازل عنها ٠

وتأسيسا على ذلك فإن الدعوة الوهابية التى ظهرت حوالى منتصف القرن الثامن عشر فى هضبة نجد كان لا بد لها أن تعتمد نزعات البدو للغزو والسبى وأن تصبغها بصبغة شرعية لتكون أساساً لبناء الملك السعودى العضود ٠

لكن بالنظر الى أن الوهابية قد ظهرت فى محيط اسلامى فجميع قبائل نجد تؤمن بالاسلام وكذلك سكان البلاد المحيطة بهذه الهضبة فى جزيرة العرب أو على أطرافها الشماليه فى العراق والشام يؤمنون بالاسلام ويؤدون شعائره ومن ثم لا يوجد مبرر دينى للغزو والسبى لذلك لجأت الوهابية الى إعتبار أتباعها وحدهم هم المسلمون أما الآخرون الذين

يؤمنون بالاسلام ويؤدون شعائرة فهم فى نظر الوهابية مشركون يجب جهادهم ويحل دمهم ومالهم ونسائهم .

ومن ثم فقد كان تشدد الوهابية فى مبدأ تكفير غيرهم من المسلمين والجهاد ضدهم لمجرد اعطاء شرعية دينية لبدو نجد فى الغزو والحصول على الغنائم ومنحهم سنداً شرعيا يسمح لهم بالسلب والنهب والقتل والسبى داخل الجزيرة العربية وخارجها .

جماعة الأخوان وبناء الملك السعودى :

وقد إستخدم عبد العزيز آل سعود جماعة الأخوان الوهابية منذ إنشائها فى عام ١٩١٢ كقوات ميليشيا عسكريه تعمل من أجل بناء الملك السعودى فقد كان الأخوان فائقى القدرة على التحرك وإتقان حرب الصحراء شديدى القسوة والعنف فى الحروب وتميزوا بفدائية فائقه ومن ثم أدى ظهورهم كقوة عسكرية الى تغيير جذرى فى توازن القوى العسكرية داخل الجزيرة العربية .

ولذلك فقد لعبت جماعة الأخوان منذ إنشائها ١٩١٢ وعلى مدى ثلاثة عشر عاما حتى ١٩٢٥ دورا هاما فى تغيير خريطة الجزيرة العربية وبناء الملك السعودى فكان لهم دور هام فى ضم الاحساء والقطيف ١٩١٣ وفى منازلة آل الرشيد ١٩٢١ وفى ضم عسير ١٩٢٢ .

كما آغاروا على حدود الكويت والعراق وشرق الأردن غارات

متعددة فيما بين ١٩١٩/١٩٢٤ ثم إندفع الاخوان تحقيقا لأطماع العرش السعودى فى الحجاز فاستولوا على تربة والحزمة ١٩٢٤ وأنزلوا بها أبشع ألوان التخريب والقتل والدمار ثم تقدموا الى الطائف فاستولوا عليها بعد معارك دامية آثاروا فيها الفزع بعد أن قتلوا أكثر من ألف مسلم من المدنيين العزل بما فيهم من أطفال وشيوخ وسبوا النساء بدعوى أن عدم اعتناقهم للمذهب الوهابى قد جعلهم كفار خارجين عن الاسلام ومن ثم يحل قتلهم قتلا جماعيا وأخذ أموالهم غنائم وسبى نسائهم ثم اتجهوا الى مكة وجده والمدينة فاستولوا عليها ١٩٢٤/١٩٢٥ تباعاً وسط ذعر العالم الاسلامى وسخطه على دمويتهم التى نالت الأطفال والنساء وعلى وحشيتهم التى نالت المقدسات الاسلامية بما فيها من أضرحه واثار للمسلمين الأوائل فقاموا بنهبها وتدميرها بدعوى مخالفتها لتعاليم الاسلام الوهابى .

وهكذا بفضل جماعة الأخوان الوهابية توسع الملك السعودى وإمتد الى بلاد حائل بعد أن تم القضاء على آل الرشيد كما تم ضم عسير بعد القضاء على الهاشميين .

وهكذا أصبح عبد العزيز آل سعود منذ بداية عام ١٩٢٦ سلطاناً على نجد وملكاً على الحجاز وأطمعه ذلك فى أن يتطلع الى خلافه المسلمين بعد سقوط الخلافة العثمانية ١٩٢٤ .. ومن ثم بدأ الصدام بين الدولة الدينية السلفية فى السعودية والدولة المدنية الحديثة فى مصر.

الفصل الثانى
الشيخ رشيد رضا
«حلقة الوصل»
من الاخوان الوهابية إلى الاخوان المسلمين



الشيخ رضا بعد هجرته الي مصر في سنة ١٣٢٧هـ

رشيد رضا
- حلقة الوصل -
من الأخوان الوهابيه إلى الأخوان المسلمين

كان من الطبيعي أن تحاول السعودية البحث عن أنصار لها في مصر يبشرون بمذهبها الديني ويدافعون عن طموحاتها السياسية ... وقد وجدت السعودية ومذهبها الوهابي فريقا تعاطف معها بدرجة أو أخرى داخل الجماعات السلفيه في الأزهر وفي الجمعيات الاسلامية وكان رشيد رضا من أبرز الذين بشروا بالعقيدة الوهابية ودافعوا عن النظام السعودي خاصة فيما بين عامي (١٩٢٥/١٩٣٥) ثم إنه كان حلقة الوصل من أخوان الوهابية في السعودية الى الأخوان المسلمين في مصر.

حياة رشيد رضا :

والشيخ محمد رشيد رضا ولد في طرابلس الشام ١٨٦٥ ودرس العلوم الدينية في المدارس الاسلامية بالشام ثم هاجر الى مصر عام ١٨٩٨ وسنة ٣٣ سنة وإرتبط بالإمام محمد عبده حتى وفاته ١٩٠٥ وعاش في مصر حتى توفي عن سبعين سنة في عام ١٩٣٥ وكان له دور مؤثر في الحركة الدينية عن طريق مجلة المنار ومدرسة الدعوة والارشاد والمؤلفات الدينية التي وضعها ثم إنطلق الى معترك السياسة وقام بدور هام داخل تيار الاسلام السياسي ارتبط خلاله بالنظام السعودي .

وكان رشيد رضا ينتمى على الصعيد الاسلامى الى ذلك التيار السلفى الذى يؤكد على طبيعة الإسلام الثابته والصالحة كدين ودولة لكل زمان ومكان اعتماداً على نصوص القرآن والسنة وفقا للمرجعية الحنبليه وامتداداتها عند ابن تيميه وابن القيم وابن عبد الوهاب. ولذلك فقد دعى رشيد رضا الى توحيد المسلمين والدفاع عن الاسلام والتصدى لأعدائه واقامة مجتمع إسلامى تحت ظل خليفه للمسلمين يمكن ان يعيد الحضارة الاسلامية ويظهر الدين ويوحد المسلمين .

ولذلك فقد كان رشيد رضا على الصعيد السياسى من دعاة حركة الجامعة الاسلامية والدولة الدينية والخلافه الاسلامية، ومن ثم فقد تبدل ولاؤه مابين الخلافه العثمانية فى إستانبول وحركة الشريف حسين فى مكه فلما سقطت الخلافه العثمانية على يد أتاتورك ١٩٢٤ وسقط الحكم الهاشمى فى الحجاز على يد السعوديين ١٩٢٥ بدل ولاءه الى الدولة السعودية الوهابية التى بزغ نجمها بعد إستيلائها على الحجاز منذ الربع الثانى من القرن العشرين .

رشيد رضا والسعودية :

وقد دخلت الدولة السعودية الوهابية سعيا وراء تحقيق طموحاتها السياسية وأهدافها التوسعية فى صراع سياسى وعسكرى حاد مع القوى المحلية فى المنطقة وفى مقدمتها مصر التى كانت تمثل مركز الثقل الحضارى فى المنطقة وتقدم نموذجا مغايرا للنموذج السعودى الدينى وهو

النموذج المدنى الحديث .

لذلك فقد شهدت العلاقات المصرية السعودية فيما بين ١٩٣٦/١٩٢٥ فترة من الصراع الحاد فقد رفضت مصر أن تسلم للسعودية بحق السيطرة على الأماكن المقدسه فى الحجاز كما رفضت الاعتراف بالدولة السعودية ودار الصراع حاداً بين الملك فؤاد فى القاهرة والملك عبد العزيز فى الرياض على منصب خليفه المسلمين كما إحتد الصراع الدينى بين الإسلام السعودى القائم على التعصب والاسلام المصرى القائم على السماحة .

ومن ثم فقد تلاقت مصالح السعودية فى القضاء على دور مصر الحضارى وزعامتها للمنطقة العربية والقضاء على نموذجها المدنى الحديث ومحاولة اختراقها واخضاعها بشكل أو آخر للهيمنه السعودية الوهابية مع مصالح رشيد رضا وتطلعاته إلى تحقيق نموذجه السلفى فى إقامه الدولة الدينية وإحياء الخلافة الاسلامية .

والدراسة الكاشفة لحياة الشيخ رشيد رضا تؤكد أن السعودية قد نجحت فى توظيف رشيد رضا لخدمة أهدافها السياسية والدينية فتكشف لنا المصادر التاريخية أن الشيخ رشيد رضا إستطاع أن يؤسس مدرسة الدعوة والارشاد لتخريج دعاه للدين الاسلامى وتم افتتاح هذه المدرسة رسميا فى جزيرة الروضة بالقاهرة ١٩١٢ ، وقد استغل الشيخ رشيد رضا هذه المدرسة للتبشير بالمذهب الوهابى أو ما كان يسميه عقيده التوحيد،

وتخرج على يديه عدد من أنصار الوهابية خدموا النظام السعودى بعد ذلك من أمثال الشيخ يوسف ياسين .

كذلك فقد كرس الشيخ رشيد رضا مجلته (المنار) للتبشير بالمذهب الوهابى والدفاع عن النموذج السعودى ، وقراءة مضمون لهذه المجلة التى كانت زائعة الصيب فى الأوساط الاسلامية تكشف الباحثين بوضوح عن توظيف المجلة دينيا لخدمة المذهب الوهابى وسياسيا لخدمة النظام السعودى .

كما جند رشيد رضا قلمه للتبشير بالمذهب الوهابى والدفاع عن الخلافه الاسلامية والنموذج السعودى فيما سطره من مؤلفات كثيرة من أهمها كتابه عن الخلافه أو الامامه العظمى وكتابه عن الوهابيون والحجاز وكتابه عن الوحدة الاسلامية والأخوة الدينية وكتابه عن السنه والشيعه أو الوهابية والرافضه .

ففى هذه المؤلفات يؤكد رشيد رضا أن نموذج الدولة هو النموذج الدينى الاسلامى وأن الخلافة الإسلامية ضرورة لإقامة المجتمع الاسلامى وهو يرى أن حكومة ابن سعود هى الدولة الوحيدة القادره على إحياء حكومة الخلفاء الراشدين فى الأرض وأنه لذلك قد شحذ عزمه على نصرتها وشد أزرها ومجاهدة أعدائها .

وقد أكد رشيد رضا على أن نصب الإمام واجب على المسلمين شرعا وهو فرض كفايه وأعطى لسلطة الخليفة طابعا دينيا شموليا يتحول فى

التطبيق العملى إلى حكومة دينية وأكد على أن إحياء منصب الخلافة فيه العلاج الشافى لأمراض الأمة الاسلامية واعتبر كل المسلمون آثمون حتى يبايعوا خليفه ... وكان يؤكد باستمرار آن حكومة الحجاز بعد أن أصبحت فى قبضه الوهابيين السعوديين هى المثال النموذجى للحكومة الاسلامية إذ يكفيها أنها لا تحكم بقوانين وضعيه أو تشريعات أوربية ولا تعرف التعليم الحديث بل تعتمد التعليم الدينى والتشريعات الاسلامية .

وهاجم رشيد رضا المذاهب الاسلامية المختلفة وخاصة مذاهب الشيعه كما هاجم بشده الطرق الصوفيه والتوسل بالأولياء مؤكدا أن ابن سعود وحده دون باقى حكام المسلمين هو الذى نجح فى إقامه حكم اسلامى لم يسبق له نظير بعد الخلفاء الراشدين .

وتولى رشيد رضا مهمة شرح مبادىء الوهابية وأفاض فى الكلام عن مذهب محمد بن عبد الوهاب مؤسس الدعوة الوهابية وأحمد بن حنبل الذى إستمدت منه الدعوة أصولها الفقهية وأحمد بن تيميه الذى بذر بذور الدعوة وتلاميذه ابن القيم وابن عبد الهادى وأتباعهم مؤكدا أنهم وحدهم هم الموحدون وغيرهم من المسلمين مشركين .

وأصدر رشيد رضا بواسطة مطبعة المنار العديد من مؤلفات المذهب الوهابى السلفى فنشر كثيرا من مؤلفات إبن حنبل وابن القيم وابن تيميه وبن حجى الحنبلى النجدى وغيرها من التراث السلفى الذى تقوم عليه الوهابية .

الدعم المالى السعودى :

وكان رشيد رضا يتلقى نظير ذلك دعما ماليا من السعودية فيقول فى رسالة له إلى الأمير شكيب أرسلان إنه قد (تلقى حواله ماليه بمبلغ (٧١٦) جنيه من وكيل ماليه الحجاز وذلك باقى المستحق له عن طبع الجزء السابع من كتاب - المغنى - وأنه بصدد طبع الجزئيين الثامن والتاسع لكن تعوزه الأموال ولذلك فقد كتب الى الملك عبد العزيز وولده فيصل فاستاء كل منهما من تأخير المالية صرف مستحقاته وأمرا بارسال جميع المستحق له كما أمرا بطبع ألفى نسخه من كتاب الآداب- ومجموعة رسائل المرسلين) .

وقد شجع هذا الدعم المالى الذى كان يتلقاه رشيد رضا من السلطات فى الدولة السعودية الناشئة على صورة دعم للمطبوعات الدينية على أن ينتقل رشيد رضا بحياته إلى مستوى معيشى أرقى ووضع طبقى أعلى على الرغم من أن عائد إشتراكات مجلة المنار وقيمه المباع من كتبه كانت لا تفى بأجر المطبعة وحدها ولذلك فهو يعترف فى رساله منه الى الأمير شكيب أرسلان بأن (الدعم الذى كان يتلقاه من السعودية نظير المطبوعات كان ربحه عظيما ... وأن ذلك جرأه على شراء دار فخمه تكون مستقرا له ولأولاده وكان قسطها السنوى زهاء(٤٠٠) جنيه على مدة (٦) سنوات) .

وقد أوقعه هذا الاسراف والبذخ فى أزمة ماليه فركبته الديون

وإشتدت به الأزمة المالية حتى أنه أصبح وفقا لما جاء فى رساله له الى الأمير شكيب أرسلان (يستجدى المساعدة من السلطات السعودية لسداد ديونه التى زادت على ألف جنيه ... وأنه قد طلب من الحجاز مائتى جنيه سلفه) .

وعندما بدأت السعودية تقبض يدها عن رشيد رضا وتقتر عليه فى عطاياها إستحكمت حلقات أزمته المالية حتى أنه أضطر فى أواخر أيامه إلى رهن داره مقابل ألف ومائتى جنيه ولذلك نجده يتوسل الى صديقه شكيب أرسلان ليتدخل بنفوذه لدى السلطات السعودية لدعمه ماليا حتى يستمر فى أداء المهمة المكلف بها لصالح السلطات السعودية وذلك دون نظر لما للسلطات السعودية من ديون على المنار .

الدور السياسى لرشيد رضا :

ولم يقف ولاء الشيخ رشيد رضا للنظام السعودى عند حدود التبشير بالفكر الوهابى ونشر المطبوعات السلفيه بل تعدى ذلك الى القيام بدور سياسى منحاز إلى السعودية أفصح عن نفسه فى كثير من الأحداث السياسية .

فهو يلعب دور الوسيط بين شيعه ايران وبين النظام السعودى الوهابى إبان الصراع حول مستقبل الأراضى المقدسه الاسلامية فى الحجاز ويحاول تقريب وجهات النظر وتخفيف المعارضه الشيعيه الايرانيه لسيطرة ابن سعود على الحجاز، وعندما سافر مبعوث ايرانى إلى مكه

زوده رشيد رضا بكتاب الى الملك عبد العزيز لكن محاولته فشلت ولذلك نجده يعترف بأن محاولاته للتأليف بين الشيعه والوهابية لم تثمر الثمرة المرجوة .

كذلك فقد قام رشيد رضا بأدوار سياسية وإعلاميه فى الصراع الدائر بين الشيعه الزيديه فى اليمن وبين السنه الوهابيه فى السعودية وكان إنحيازه واضحا إلى جانب ابن مسعود حتى إنتهى الصراع اليمنى السعودى بتوقيع اتفاق ١٩٣٤.

أما موقف الشيخ رشيد رضا من الصراع السعودى الهاشمى فقد كان منحازا إنحيازا شديداً الى الجانب السعودى فشن هجوما شديدا على الشريف حسين وأعلن صراحة أنه أميل الى ابن سعود وأحسن رآيا فيه من الحسين الذى طعن عليه مطاعن لا حصر لها فى مجله المنار وزعم أن الله قد فضحه بالمعاهدة الجديدة مع بريطانيا شر فضيحة حتى قامت عليه قيامه العالم الاسلامى وهاجت عليه جميع الجرائد .

وعندما رد خصوم ابن السعود على ذلك باثاره مسأله علاقة إبن السعود بالانجليز وإتفاقه المسبق معهم على رسم الحدود الشماليه إذا تركوه يمتلك الحرمين لا يجد رشيد رضا دفاعا عن أميرة السعودى سوى نفى هذا الاتهام بشده جازما بأنه لا أصل له زاعما أن دين إبن سعود وتعصب قومه يحولان دون الاتفاق مع أجنبى على حصاة من أرض الحجاز .

وعندما استنكر العالم الاسلامى وحشيه جماعات البدو من الأخوان الوهابية فى غزوهم للحجاز وإساله دماء المسلمين وهدم قباب القبور المقدسه والاثار والمشاهد الاسلاميه إنبرى رشيد رضا للدفاع عن وحشيه البدو الوهابية مؤكدا أن الاسلام الصحيح هو ما يمارسه الوهابيون من منع للبدع والخرافات وتحريم الطواف بالقبور والاستعانه بالأموات ... وزعم أن حملة دفاعه عن السعودية وعقيدتها الوهابية قد أحدثت تحولا فى الرأى العام حتى أن شيخ الأزهر قال له على ملأ من علمائه ... جزاك الله خيرا بما أزلت عن الناس من الغمة فى أمر الوهابية .

وعندما أصاب العالم الاسلامى القلق على مستقبل الحج بعد أن سيطر السعوديون على الحجاز تصدى رشيد رضا لهذه المخاوف مؤكدا أن حكومة الحجاز السعودية قد فعلت ما لم تفعله حكومة قبلها من حفظ الأمن وتسهيل السبل وتوفير المياه والاسعافات الصحيه للحجاج .

ثم هاجم الحكومة المصرية على دعوتها لوضع الحجاز تحت سلطة الحجر الدولى دائما بدعوى أن الحجاز بيئه وبائيه تنتشر فيها الكوليرا، كما هاجم مصر لمنعها ما كانت ترسله الى الحرمين وأهله من الأموال والحقوق المقرره التى كانت ترسلها كل عام وذلك بعد أن منع السعوديون المحمل المصرى وتعرضوا للمصريين بالأذى وقال رشيد رضا إن هذه الحقوق هى بعض ما وقفه أهل الخير والغنى على الحرمين الشريفيين لكن وزارة الأوقاف المصرية التى تجبى من أوقاف الحرمين فى كل عام الكثير

من الأموال تنفقها فى غير ما أوقفت من أجله ثم يدعو رشيد رضا الشعوب الاسلاميه لمساعدة حكومة الحجاز السعودية بالمال حتى يمكن حفظ الحجاز وعمرانه ٠

وعندما تصارع الملك فؤاد فى القاهرة مع الملك عبد العزيز فى مكة على منصب خليفه المسلمين لم يخف رشيد رضا إنحيازه التام لابن سعود وبدل رأيه الذى كان قد سبق أن دعى إليه بتدويل الحجاز بواسطه حكومة جمهورية إسلامية مختارة من جميع الشعوب الاسلامية ودعى الى أن تكون الحجاز لإبن سعود مؤكدا أن حركة الوحدة الاسلامية يجب أن تبدأ من المركز الطبيعي لها وهو الحجاز وأنه قد جاء وقت العمل فى الحجاز للإسلام والعرب وأن هذه فرصه لم يسمح بمثلها الزمان لأنه إذا تم (لنا) مانسعى اليه فى الحجاز فإننا نستطيع فى سنين قليله أن نظهر حقيقه الإسلام وتحقيق آمال مسلمى الشرق والغرب ذلك أن إستيلاء ابن سعود على الحجاز - فى نظر رشيد رضا - هو المشروع الذى تتم به أمنيتنا القديمة فى توحيد قوى الجزيرة وإصلاح أمرها ٠ (وأننا) الآن على باب طور جديد للمسألة العربية بعد بروز قوة جديدة للميدان وزحفها على الحجاز ٠

ولذلك يعلن رشيد رضا مقاطعته لمؤتمر الخلافه الاسلامية الذى عقد فى القاهرة فى مايو ١٩٢٦ موضحا بصراحة أ.صدره لم ينشرح للدخول فى مؤتمر القاهرة وآنه يرجح أن تكون الخلافة فى مكه ولذلك فقد بادر

للمشاركة بحماس فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد بمكه فى يونيه ١٩٢٦ حيث لعب دورا سياسيا هاما فى هذا المؤتمر وتولى رياسه اللجنه التى وضعت جدول أعمال المؤتمر بغرض تحقيق الشرعيه للحكم السعودى فى الحجاز وتحسين صورته فى العالم الاسلامى وضمان الموارد الاقتصادية التى تأتى للحجاز من العالم الاسلامى وأوقافه وحجاجه ٠

وعندما فشل هذا المؤتمر فى انتزاع إعتراف مصر بالحكم السعودى فى الحجاز حاول الملك عبد العزيز تحسين العلاقات مع مصر بغيه الحصول على إعترافها فأرسل ولى عهده الأمير سعود يرافقه مستشاره الشيخ حافظ وهبه لزياره مصر فى عام ١٩٢٦ ٠٠ وتصور حافظ وهبه أن زياره الأمير السعودى لبعض مساجد الأضرحه مثل الأمام الشافعى ومسجد الحسين يمكن ان يساعد على إزاله آثار الدعاية المعاديه للوهابية وموقفهم المعادى من أهل البيت وأئمة المذاهب لكن الشيخ رشيد رضا اعتبر ذلك مخالفه للمذهب الوهابى وآثار المسأله مما أدى إلى أزمة داخلية بين جماعة الأخوان الوهابيه شديدة التعصب وبين العرش السعودى فتم إستدعاء الأمير السعودى ومرافقه من مصر ولم تسفر هذه الزيارة عن أى تحسن فى العلاقات بين البلدين ٠

وظل الشيخ رشيد رضا بمثابه مركز اتصال سعودى فى القاهرة تدار بواسطته أمور الدولة خاصة بعد غلق الوكاله السعوديه فى القاهرة ١٩٢٦ وعدم وجود اعتراف سياسى أو تمثيل دبلوماسى بين القاهرة

والرياض. وأتاح ذلك لرشيد رضا أن يقوم بدور هام فى حركة الدعاية والتبشير للمذهب الوهابى بواسطة مجلة ومطبوعات المنار كما تولى الدفاع عن مواقف السعودية السياسية والدينية كما كان بمثابه همزة وصل بين السعودية وبين كثير من الزعامات الاسلامية التى تم استقطابها للتعاون مع النظام السعودى .

وفوق ذلك ظل رشيد رضا بمثابه مركز سعودى يستقبل كثير من المسئولين السعوديين من أمثال الشيخ حافظ وهبه والشيخ يوسف ياسين لإدارة ما يوكل إليهم من مهام عاجلة فى مصر ومتابعه هذه المهام .

رشيد رضا وجماعة الأخوان المسلمين :

على أن أخطر ما قام به رشيد رضا هو أنه كان حلقه الوصل بين الأخوان الوهابية فى السعودية والأخوان المسلمين فى مصر فجماعة الأخوان الوهابية التى نشأت فى السعودية ١٩١٢ إنتقلت مؤثراتها السياسية وأفكارها الدينية الى مصر عن طريق رشيد رضا الذى تتلمذ حسن البنا على يديه وارتبط بفكره السلفى وبمدرسة الدعوة وبمجله المنار.

ويعترف حسن البنا فى مذكرات الدعوة والداعية بتأثير الشيخ رشيد رضا عليه وأنه كان دائم الحضور فى مجالسه وأنه قد تأثير كثيرا بما كانت تنشره مجله المنار وحاول إعاده إصدارها بعد وفاه رشيد رضا لتؤدى دورها فى خدمه الاسلام والمسلمين . ولذلك يذهب المؤرخون الى

ان جماعه الأخوان المسلمين التى أسسها حسن البنا عام ١٩٢٨ خرجت من عباءة الشيخ رشيد رضا . ومن ثم يمكن القول بأن علاقة الأمام المؤسس حسن البنا بفكر رشيد رضا وحركته السياسية قد قادته وجماعته من الأخوان المسلمين الى الارتباط بشكل أو آخر بالمذهب الوهابى والنظام السعودى .

وفاة رشيد رضا :

فى عام ١٩٣٥ زار الأمير سعود ولى العهد السعودى مصر ... وكان الشيخ رشيد رضا طوال هذه الزيارة فى معيه ولى العهد حتى إذا ما إنتهت الزيارة رافق رشيد رضا الأمير الى ميناء السويس .. وما أن غادر الأمير السعودى ميناء السويس فى طريقة الى جده حتى استدار الشيخ رشيد رضا ليركب السيارة عائدا الى القاهرة ومازالت أفكاره معلقه بالدولة السعودية وأحلامه مرتبطة بالخلافه الوهابية وولاؤه مرتبط بالعرش السعودى ... لكنه وقبل أن يصل الى القاهرة ظهر الخميس ٢٢ أغسطس ١٩٣٥ كانت روحه قد فاضت وإنتقلت الى الملإء الأعلى .

* * *

الفصل الثالث

الصراع على الخلافة الإسلامية



الملك فؤاد



الملك عبدالعزيز

الصراع على الخلافه الاسلامية

الصراع على الخلافه الإسلامية :

فى ٣ مارس ١٩٢٤ أعلن مصطفى كمال أتاتورك إلغاء الخلافة العثمانية فكان لهذا الحدث التاريخى أصداء واسعة فى جميع انحاء العالم الاسلامى فقد كان المستقر لدى المسلمين حتى ذلك الحين أن الخلافه الاسلامية ضرورة دينية وركن من أركان الاسلام حتى إعتقد البعض بأن من مات بغير خليفه أو إمام فقد مات ميته جاهليه .

وقد وجدها حكام البلدان الاسلامية فرصه لتحقيق طموحاتهم السياسية العبيطه فمن أغاخان فى الهند حتى ملك المغرب مرورا بملك الأفغان وشريف مكه وسلطان نجد وملك مصر تطلعوا جميعا الى عرش الخلافة .

وكان أبرز المتطلعون الي الخلافة الاسلامية الشريف حسين بن على ملك الحجاز الذى تصور أن سيطرته على الأماكن المقدسة الاسلامية فى مكة والمدينة ونسبه الشريف الذى يمتد الى بنى هاشم وتزعمه للثورة العربية ضد العثمانيين منذ عام ١٩١٦ وعلاقته بالانجليز تؤهله لتولى منصب الخلافه ولذلك بادر الملك حسين بن على فى ١٢ مارس ١٩٢٤ باعلان نفسه خليفه للمسلمين بدعوى عدم جواز بقاء المسلمين أكثر من ثلاثة أيام بلا إمام أو خليفه، لكن هذا الانقضاض الهاشمى على عرش الخلافة ووجه بمعارضه شديدة فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى الذى

كان قد إنصرف آنذاك عن الشريف حسين بعد أن أسفرت سياساته منذ عام ١٩١٦ عن فشل ذريع بعد أن تخلى الانجليز عنه وغدروا به ٠

وأتاح ذلك للملك فؤاد فى مصر أن يتطلع الى عرش الخلافه إعتماداً على مركز مصر الحضارى فى العالم الاسلامى وعلى القيمة الدينية التى يمثلها الجامع الأزهر، وبدأ الملك فؤاد يمهد لذلك بالاتصال بالانجليز لكسب تأييدهم كما إستخدم الأزهر ورجال الدين فى هذه اللعبة السياسية لتهيئة الرأى العام الاسلامى لتقبله كخليفه للمسلمين فى الوقت الذى إستمرت اتصالاته السياسية مع القوى المحلية والاسلامية والدولية وصولا الى هذه الغاية وبدأت أجهزته تعد لعقد مؤتمر إسلامى يعقد فى القاهرة يحضره ممثلون عن مختلف البلاد والشعوب الإسلامية ليفصل فى مستقبل الخلافة الاسلامية ٠

ووفقا لذلك المخطط وجه شيخ الأزهر فى ٢٥ مارس ١٩٢٤ بيانا الى العالم الاسلامى ضمنه دعوة رسميه لمؤتمر فى القا[illegible] تم عقده بعد عام – أى فى مارس ١٩٢٥ – لبحث مستقبل الخلاف[illegible]سلامية وإختيار خليفه للمسلمين ٠

بيد أن هذه الخطة ووجهت بمقاومة من جانب العلمانيين المصريين دعاه الدولة المدنية الرافضين لفكره الخلافه والدولة الدينية، وقد وصلت هذه المواجهه ذروتها بصدور كتاب الشيخ على عبد الرازق فى أبريل ١٩٢٥ عن الإسلام وأصول الحكم الذى إنتهى فيه الى أن الخلافه ليست

أصلا من أصول الحكم فى الإسلام وأن الإسلام لم يقرر نظاما بعينه للحكم بل ترك للمسلمين مطلق الحرية فى تنظيم الدولة وفقا للأحوال الفكرية والإجتماعية والإقتصادية التى يكونون عليها مع مراعاة التطور الاجتماعى ومقتضيات الزمن .

وكان هذا الهجوم على الخلافه الاسلامية فى ظل هذه الظروف وما أدى اليه هذا الهجوم من تداعيات محاكمة الشيخ على عبد الرازق وفصله من زمرة رجال الأزهر ومن وظيفته كقاضى شرعى وما ترتب على ذلك من مؤثرات على الرأى العام الذى فقد حماسه للخلافه ومن ثم لم يعد وصول الملك فؤاد الى عرش الخلافة الاسلامية بالأمر الهين خاصه مع ظهور منافسه شديدة على عرش الخلافة من جانب عبد العزيز آل سعود سلطان نجد .

فقد كان عبد العزيز آل سعود يتطلع منذ وقت مبكر الى عرش الخلافة الاسلامية يساعده على ذلك طبيعة الدولة التى أقامها على أساس دينى وميليشياته العسكرية التى أعدها بشكل دينى عقائدى لتحقيق هذه الغاية .

لكن مركز عبد العزيز آل سعود كسلطان لنجد لم يكن يؤهله لبلوغ هذه الغاية ومن ثم قرر أن أول خطوة للوصول الى عرش الخلافة الاسلامية هى الإستيلاء على الحجاز ووضع الأماكن المقدسة الإسلامية فى مكه والمدينة تحت قبضته وعندئذ يمكن له أن يتطلع الى عرش الخلافه وينافس عليه ويفوز به .

الغزو السعودى للحجاز (١٩٢٤/١٩٢٥) :

وفى إطار ذلك الهدف بادر السلطان عبد العزيز آل سعود الى عقد مؤتمر فى الرياض فى يوليه ١٩٢٤ حضره شيوخ القبائل وفقهاء المذهب الوهابى وزعماء جماعة الأخوان الوهابية وأعلن فى هذا المؤتمر ضرورة غزو الحجاز لتخليص بيت الله الحرام من أيدى الهاشميين الذين إتهمهم بأنهم يحولون بين مسلمى نجد وبين أداء فريضه الحج ٠

وقبل أن يوجه عبد العزيز آل سعود قواته لغزو الحجاز أعلن أنه لا يريد فتح الحجاز لكى يحكمه وانما لينتزعه من أيدى الهاشميين ويسلمه الى المسلمين جميعا ليقرروا مستقبل الأراضى المقدسة ومصير الحجاز٠

وبذلك أخفى عبد العزيز أغراضه الحقيقية ثم وجه قواته من جماعه الأخوان الوهابية برئاسة سلطان بن بجاد وخالد بن لؤى نحو الحجاز، وإندفعت هذه القوات فى سبتمبر ١٩٢٤ حيث تم احتلال الطايف بعد معركة دموية أعقبها إستحلال المدينة بذبح رجالها وسبى نسائها ونهب أموالها ٠

وأصبح الموقف فى الحجاز ينذر بخطر جسيم يهدد استقرار الأوضاع فى الحجاز وسلامه الأماكن المقدسة الاسلامية فى مكة والمدينه وما يرتبط بذلك من أداء الشعائر الدينية وبذلك أصبح الموقف فى الحجاز محل أهتمام المسلمين فى كل أنحاء العالم ٠٠٠ وكان لابد من البحث عن مخرج ٠

وتصور أهالى الحجاز أن المخرج هو فى تنازل الشريف حسين عن حكم الحجاز إلى ولده على وتصوروا أن ذلك يمكن أن يرضى الهاشميين والسعوديين معا وينقذ بلادهم من الدمار والخراب ويحافظ على الأماكن المقدسة ويسمح بأداء شعائر الحج ومن ثم أجبروا الملك حسين فى ٣ أكتوبر ١٩٢٤ على التنازل عن عرش الحجاز لولده على .

بيد أن شيئا من ذلك لم يتحقق فقد كان السلطان عبد العزيز آل سعود متمسكا بتحقيق أهدافه فى التخلص من الهاشميين نهائيا والاستيلاء على الحجاز كخطوة أولى نحو عرش الخلافة الاسلامية ومن ثم عاش العالم الاسلامى لأربعة عشر شهرا فيما بين (أكتوبر ١٩٢٤ - ديسمبر ١٩٢٥) فى حالة من القلق الشديد حول مستقبل الأماكن المقدسه فى مكة والمدينة .

وأدرك عبد العزيز أن هذا القلق الذى يعم العالم الاسلامى يمكن أن يؤدى الى تدخلات إسلاميه ودولية تحول بينه وبين تحقيق أهدافه فى الاستيلاء على الحجاز ولذلك بادر الى الخداع وأعلن أن مكه للمسلمين كافة ويجب أن يكون أمر إدارتها وتنظيمها وفق رغبة العالم الاسلامى بحيث يظل بيت الله الحرام بعيدا عن الشهوات السياسية، وأكد أنه لا يطمع فى إمتلاك الحجاز وأنه سيترك للعالم الاسلامى أمر تقرير مستقبل الأراضى المقدسه وتعهد فى منشور أصدره فى سبتمبر ١٩٢٤ أن أمر الحرمين الشريفين سيكون شورى بين المسلمين لكل شعب من

الشعوب الاسلامية ولكل فرد من أفراد العالم الاسلامى حق فيه .

وقد أدت هذه التأكيدات بتدويل الأراضى المقدسة إسلاميا وإعلان عبد العزيز إلتزامه بعقد مؤتمر يمثل فيه جميع الشعوب والدول الاسلامية يكون له وحده حق تقرير مستقبل الأراضى المقدسة فى الحجاز الى تخفيف حدة المعارضه والتخوفات الاسلامية من إستيلاء الوهابيين المتعصبين على الحجاز، ومن ثم وجد الهاشميون أنفسهم بمعزل أمام القوة السعودية التى إستطاعت فتح مكه فى ديسمبر ١٩٢٤ ثم المدينة وجده ديسمبر ١٩٢٥ وسقط الحكم الهاشمى فى الحجاز التى أصحبت فى قبضة القوات السعودية .

وكان الملك عبد العزيز فى هذه الأثناء قد أرسل مستشاره حافظ وهبه الى مصر فى ديسمبر ١٩٢٥ حيث إلتقى بالملك فؤاد وأبلغه أن عبد العزيز آل سعود يأمل فى تأييد الملك فؤاد له فى صراعه مع الهاشميين وأنه فى المقابل يؤيد دعوة الملك فؤاد الى مؤتمر الخلافة فى القاهرة ويرى أن الملك فؤاد أحق بهذا المنصب عن غيره من حكام المسلمين .

بيد انه ما أن إستتب الأمر لأبن سعود فى الحجاز فى مطلع عام ١٩٢٦ حتى تراجع عن كل وعوده وأعلن ضم الحجاز الى حكمه وتم تتويجه ملكا على الحجاز فى ١٠ يناير ١٩٢٦ الأمر الذى آثار سخط العالم الاسلامى وغضبته .

وفى مصر على وجه الخصوص أحس الملك فؤاد بأنه قد خدع من

جانب الملك البدوى ومن ثم إشتعل الصراع المصرى السعودى منذ يناير ١٩٢٦ واستمر لعشر سنوات قادمه حتى عام ١٩٣٦ .

مؤتمر الخلافة بالقاهرة (مايو ١٩٢٦)

وإضطر الملك فؤاد إزاء سيطرة السعوديين على الأراضى المقدسة فى الحجاز إلى أن يسرع بعقد مؤتمر القاهرة للخلافة الاسلامية رغم أن الظروف لم تكن مواتيه لذلك خاصة بعد أن تصدى العلمانين فى مصر لفكرة الخلافة وصدر كتاب الاسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق وما ترتب عليه من تداعيات أضعفت من فكرة الخلافة الاسلامية ومن أهمية الدولة الدينية .

ولذلك بادر شيخ الأزهر قبل مضى شهر واحد على تنصيب عبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز فأعلن فى فبراير ١٩٢٦ الدعوة لعقد مؤتمر الخلافة فى القاهرة فى ١٣ مايو ١٩٢٦ حضره عدد من ممثلى البلدان الاسلامية .

إلا ان الملك السعودى قاطع المؤتمر تأكيدا على أنه لن يسمح للملك المصرى بالحصول على منصب الخلافة ، ودعى الملك السعودى الى مؤتمر اسلامى أخر يعقد فى مكة وساعد ذلك على تصاعد المعارضة داخل المؤتمر لتولى الملك فؤاد عرش الخلافة ومن ثم فشل مؤتمر القاهرة فى تحقيق أهداف الملك فؤاد فى الخلافة وأنتهى المؤتمر الى الدعوة الى مؤتمر إسلامى آخر تمثل فيه الشعوب الاسلامية تمثيلا تاما حتى يتم

إختيار خليفة للمسلمين ٠

المؤتمر الاسلامى فى مكة (يونيه ١٩٢٦)

وعلي صعيد آخر كان الملك السعودى قد أهتم بعد إستيلائه على الحجاز وتعينه ملكا عليه فى يناير ١٩٢٦ بالدعوة الى مؤتمر للمسلمين يعقد فى مكه بغرض اكسابه الشرعيه فى الحجاز وتحسين صورته فى العالم الاسلامى وضمان الموارد الاقتصادية التى تأتى الى الحجاز من العالم الاسلامى وأوقافه مع توفير ضمانات الحج ٠

ولذلك أرسل عبد العزيز آل سعود فى مارس ١٩٢٦ دعوة الى الشعوب والحكومات الاسلامية للاشتراك فى مؤتمر مكة لخدمة الحرمين الشريفين وتسهيل الحج وعقد المؤتمر فى يونيه ١٩٢٦ لكن عدداً كبيراً من الدول الاسلامية قاطعت المؤتمر ٠

وكانت مصر قد رفضت بادىء الأمر المشاركة فى المؤتمر ثم أرسلت بعد ذلك الشيخ الظواهرى الذى مثلها فى المؤتمر ٠

وقد نجح الشيخ الظواهرى فى إحداث إنشقاق داخل المؤتمر عندما هاجم تعصب الوهابيين وتكفيرهم لكل من توسل بالنبى محمد عليه الصلاه والسلام وندد بهدمهم للأضرحة والأماكن المقدسة الاسلامية وأثبت أن هذه الأعمال لا تمت الى الدين ولكنها نبت التعصب الأعمى للوهابية ورتب على ذلك عدم صلاحية الوهابية للإشراف على الأماكن المقدسه الاسلامية فى مكة والمدينه بسبب تعصبهم الأعمى ضد غيرهم

من أتباع المذاهب الاسلامية الأخرى .

ورفض بشدة أن يكون لابن سعود باعتباره حاكما للأماكن المقدسة الاسلامية فى الحجاز اى سيادة نوعية على العالم الاسلامى كما رفض الاعتراف بحكم آل سعود للحجاز وتمكينه من الأوقاف الاسلامية الخاصة بالحرمين الشريفيين وآثار مخاوف المسلمين من تستر تعصب الوهابية السعودية تحت ستار تطبيق الشريعة الاسلامية لإرهاب الحجاج المسلمين من مختلف بقاع العالم الاسلامى وتعريضهم للقتل أو الضرب ونحوه من وجوه التعذيب الشرعى السعودى لمجرد شربهم للدخان أو توسلهم بالنبى الكريم ونحو ذلك مما لا يجيزه المذهب الوهابى. ونعى على ابن سعود ان ارتباطاته بالانجليز ومعاهداته معهم من شأنها أن تهدد الاماكن الاسلامية المقدسة بالتدخل الأجنبى الانجليزى فى شئون الحجاز .

وفشل ابن سعود فى أن يحصل من المؤتمر الاسلامى فى مكة عن إعتراف بشرعيه حكمه للحجاز وأعلن المؤتمرون أنه لاثقة لهم بحكم ابن سعود للأراضى المقدسة .

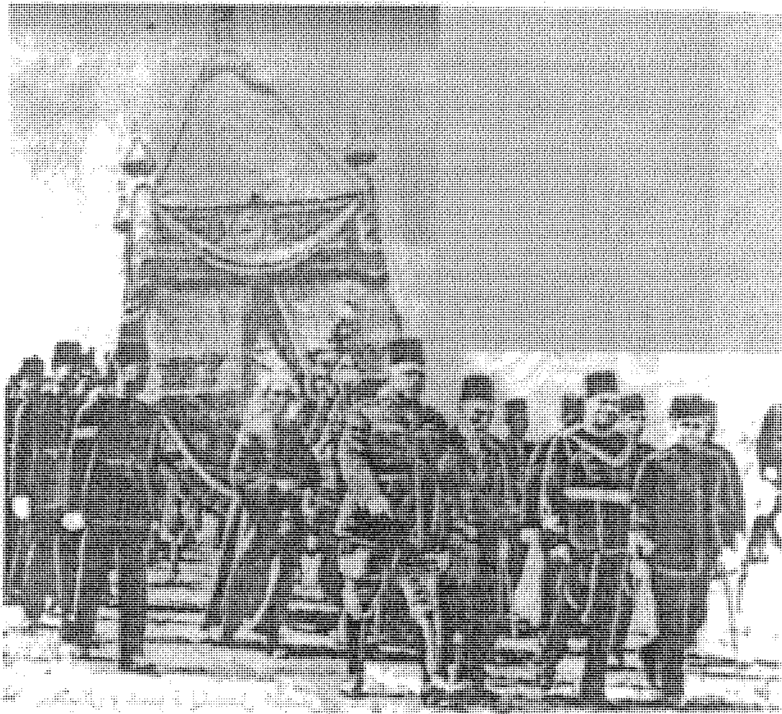
ومن ثم فإن ما توصل اليه هذا المؤتمر من مقررات إنصبت على مسائل فرعيه تتصل بتوطيد الأمن وتوفير وسائل الصحة والمواصلات ونحو ذلك من الأمور المتصله بتسهيل الحج .

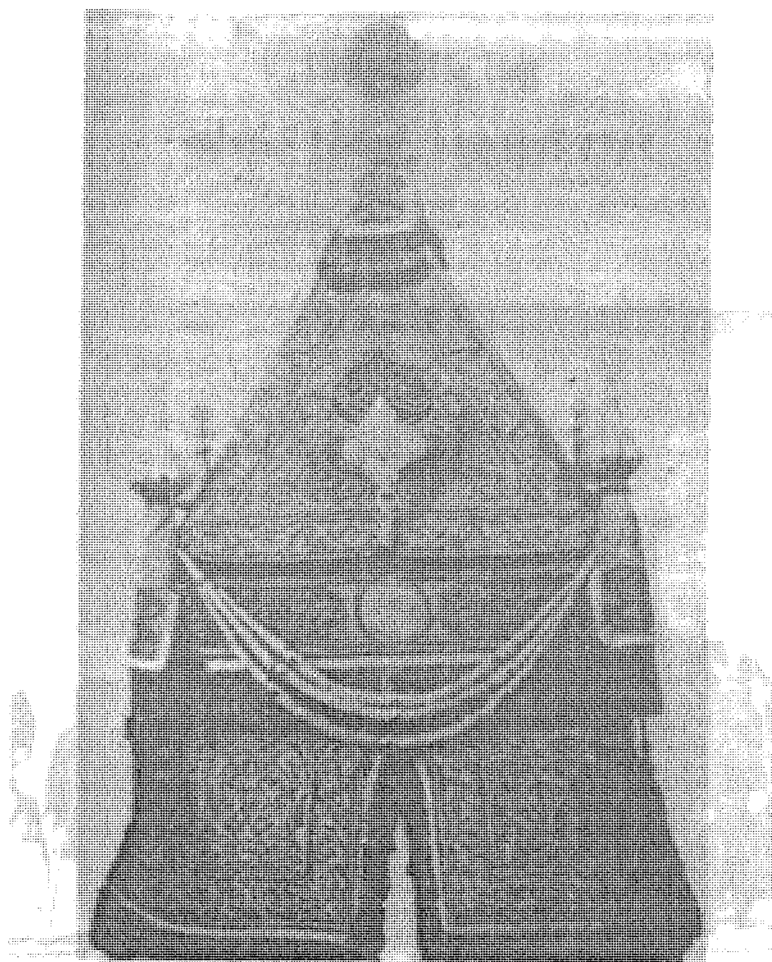
وهكذا فشل الجميع في الوصول الى عرش الخلافة الاسلامية .

* * *

الفصل الرابع

حادثة المحمل - يونية ١٩٣٦





هيكل وكسوة المحمل المصري عام ١٩٢٥ ميلادية في عهد الملك فؤاد

حـادثــة المحـمـل

- يونيه ١٩٢٦ -

حادثة المحمل :

فى يوم ٢٢ يونيـه ١٩٢٦ الموافق أول أيام عـيد الأضـحى وبينما محمل الحج المصرى المكون من الجمال التى تحمل كسوة الكعبة يرافقها قوة عسكرية للحراسة مكونة من (٤٠٠) جندى من المشاة والفرسان والهجانه ومعهم مدفعية بطارية مكونة من أربع مدافع وتتبعهم فرق طبية من الأطباء والممرضين ويرافقهم آلاف الحجاج المصريين متجهين لأداء شعائر الحج، فى طريقهم الى وقفة عرفات تصاحبهم أصوات الفرقة الموسيقية العسكرية فوجئوا بقوة من جماعة الاخوان الوهابية من قبائل نجد البدوية يصل تعدادهم الى (٧٠) ألف رجل تهاجمهم وتتحرش بهم.

وبادر اللواء محمود عزمى باشا أمير الحج المصرى الى طلب وساطة الملك عبد العزيز الذى أرسل ولديه الأمير سعود ثم الأمير فيصل واحداً وراء الآخر لمنع تحرش الاخوان الوهابية وصدامهم مع بعثة الحج المصرية لكن هؤلاء البدو لم يكفوا عن عدوانهم بل أمعنوا فى رمى الحجاج المصريين بالحجارة وأطلق بعضهم البنادق على جنود الحراسة المصريين المصاحبين للمحمل وهم يكبرون ويهللون.

وازاء اصابة أربعة من الجند المصرية وبعض الدواب اضطر أمير الحج

الى اصدار أوامر بالرد على المعتدين وحصدت المدافع المصرية (٢٥) رجلاً من جماعة اخوان الوهابية وأربعين جملاً من جمالهم، وعندئذ اضطروا للتراجع لاعادة تنظيم صفوفهم.

وقرر أمير الحج اللواء محمود عزمى باشا عدم استكمال رحلة الحج وأبلغ الحكومة المصرية بعودة بعثة الحج المصرى بما فيها من حجاج تحت حراسة مشددة خوفاً من ثأر هؤلاء البدو، وإمعاناً فى الحيطة غير أمير الحج المصرى سير المحمل من الطريق البرى حتى ينبع الى طريق ميناء جده، لكن العربان من جماعة الاخوان الوهابية ترصدوا المحمل عند مضيق جبلى قبل جده وهم مسلحون بالبنادق وعاودوا الهجوم على الحجاج المصريين لكن القوة العسكرية المصرية بادرتهم بنيران مدافعها التى حصدت منهم (٢٥٠) بين قتيل وجريح وأجبرتهم على الفرار، وركب الحجاج المصريين المراكب من جده عائدين الى مصر دون استكمال شعائر الحج، وفى القاهرة تم استقبال المحمل استقبالاً رسمياً وشعبياً حافلاً.

هذه الحادثة عرفت فى تاريخ العلاقات المصرية السعودية بحادثة المحمل.. وهى حادثة كان لها أسبابها الدينية والسياسية والاقتصادية.. كما كان لها دلالاتها على طبيعة العلاقات المصرية السعودية آنذاك.. ثم انها تركت أثارها على هذه العلاقة لعشر سنوات قادمة فيما بين (١٩٢٦/١٩٣٦).

قصة المحمل :

وقصة المحمل المصرى ترتبط بشعائر الحج الى بيت الله الحرام وما يرتبط بالحج من كسوة الكعبة سنوياً، وهى شعائر دينية عرفها المسلمون منذ فجر الاسلام بل ربما قبل الاسلام بأكثر من ثلاثة قرون.

وقد انفردت مصر منذ العصر المملوكى حوالى منتصف القرن (١٣) الميلادى وعلى مدار سبعة قرون حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين بارسال الكسوة السنوية الى الكعبة والأماكن المقدسة الاسلامية الأخرى فى الحجاز.

وكانت كسوة الكعبة عبارة عن كسوة من القماش الفاخر والمطرز بآيات القرآن والزركشات الاسلامية، وكانت توضع فوق هيكل خشبى يحمل على جمل أصبح يطلق عليه اسم المحمل، ثم ترسل الى العكبة حيث يتم كسوة الكعبة بها فى احتفال مهيب.

وكان المصريون يبدون اهتماماً كبيراً بهذا المحمل حيث يقام عند ارسال المحمل سنوياً احتفال رسمى وشعبى تعطل فيه المصالح الحكومية ويحضره كبار رجال الدولة وتشارك فيه بعض فرق الجيش وكبار رجال الدين والطرق الصوفية.. وكان هذا الاحتفال يتم بمشاركة شعبية كبيرة وتصاحبه الفرق الموسيقية ويتخلله عروض شعبية لها مسحة صوفية وكانت الشوارع والميادين تتلألأ بالزينات وبمظاهر الاحتفالات الشعبية والاستعراضات العسكرية حيث يتولى أمير الحج المصرى قيادة المحمل

والقوات العسكرية المصاحبة للحراسة وآلاف الحجاج المصريين كما كان يرافقه بعض الفرق الطبية لتوفير العلاج وقافلة محمله بالصدقات والمعونات والهبات المرصودة لأهالى الحجاز تحمل الأغذية والأموال والأقمشة لتوزيعها على فقراء أهل الحجاز وخاصة أهل مكة والمدينة من خلال التكية المصرية التى تتولى اطعام الفقراء وكسائهم وعلاجهم على مدار العام.

وكان هذا الاحتفال الدينى الكبير يكتسب طابعاً شعبياً صوفياً بما يتخلله من فنون الأغانى والموسيقى الشعبية والأهازيج والمدائح الدينية وأذكار الفرق الصوفية.. وكان المصريون يتبركون كعادتهم بهذا المحمل ويعتقدون أن لمسهم أو تمسحهم بكساء الكعبة أو بالجمل الذى يحمل هذا الكساء يحمل اليهم البركة.

وبعد هذا الاحتفال يتم سفر المحمل الى الأراضى المقدسة بالحجاز حيث يستقبل من أهالى الحجاز استقبالاً حافلاً وتقام له الاحتفالات الرسمية فى جده ومكه والمدينة.. ووسط هذه الاحتفالات والاستعراضات العسكرية والمهرجانات الدينية والشعبية يتم كسوة الكعبة وأداء شعائر الحج وتوزيع الصدقات على الفقراء. وكان أهالى الحجاز يشاركون فى هذه الاحتفالات حيث يوزع عليهم القمح والملابس والنقود فيفيض على أهالى الحرمين خير كثير. حتى اذا ما تم موسم الحج عاد المحمل المصرى بحجاجه الى مصر حيث يستقبل أيضاً بنوع من الاحتفالات الشعبية.

أسباب حادثة المحمل :

ترجع أسباب حادثة المحمل الى ثلاثة أسباب رئيسية سياسية واقتصادية ودينية. السبب الأول.. هو سبب سياسى تمثل فى قيام المنافسة بين العرش المصرى والعرش السعودى حول منصب الخلافة الاسلامية فأثر الغاء الخلافة العثمانية فى مارس ١٩٢٤ نشب الصراع بين الملك المصرى والملك السعودى على منصب الخلافة وحاول فؤاد أن يصل الى أهدافه عن طريق مؤتمر للخلافة عقد فى القاهرة فى مايو ١٩٢٦ ورد عليه عبد العزيز بعقد المؤتمر الاسلامى فى مكة فى يونيه ١٩٢٦.

فى ظل هذه الظروف السياسية والتنافس الشديد بين الملك فؤاد فى مصر والملك عبد العزيز فى السعودية وقعت حادثة المحمل ومن ثم فهى تعبير عن الأزمة السياسية التى وصلت اليها العلاقات المصرية السعودية آنذاك.

أما السبب الثانى .. فهو سبب اقتصادى فقد حاول النظام السعودى الذى فرض سلطته السياسية مؤخراً على الحجاز أن يكتسب نوعاً من الشعبية بين جماهير فقراء أهل الحجاز وأن يقلل فى ذات الوقت من ارتباط هذه الجماهير بمصر، وتصور أن ذلك يمكن أن يتحقق عن طريق مشاركة السعوديين للتكية المصرية فى توزيع الصدقات التى كانت توزع عليهم سنوياً مع المحمل ومن ثم طلب عبد العزيز اشراك حكومته فى

توزيع الصدقات لكن أمير الحج المصرى رفض هذا المطلب وأصر على انفراد التكية المصرية بتوزيع هذه الأموال فرفض عبد العزيز تمكين التكية المصرية من أداء هذا العمل الخيرى الأمر الذى اضطر أمير الحج المصرى للعودة بمبلغ خمسين ألف جنيه كانت مخصصة للصدقات وهو مبلغ كبير لايستهان به فى ذلك الحين.

عندئذ كان لابد لعبد العزيز آل سعود أن يستغل كعادته العامل الدينى فيطلق جماعته من الاخوان الوهابية لتعبر عن عقيدتها المذهبية ضد المحمل المصرى فقد كان اخوان الوهابية يجردون غيرهم من المسلمين الذين لايعتقدون عقيدتهم من حقهم فى أن يكونوا مسلمين وكانوا يعتبرونهم كفار يجب القضاء عليهم، وكان شرب الدخان أو سماع الموسيقى والأغانى أو زيارة القبور والتبرك بالأولياء كافياً فى نظر التعصب الوهابى لتجريد المسلم من اسلامه.

ولذلك ما أن رأى هؤلاء الاخوان الوهابية المتعصبين المحمل محاطاً بمظاهر الاحتفال حتى اعتبروه صنماً يعبده المصريون الكفار وصاحوا عليه باسم (هبل) كبير آلهة الجاهلية، وما أن سمعوا صوت البوق والموسيقى العسكرية المصاحبة له حتى اعتقدوا أنه صوت الشيطان... ومن ثم راحوا يرجمون المحمل بالحجارة وهم يتصورون أنهم يرجمون ابليس كما فى شعائر الحج الاسلامى.

وحاول أمير المحمل المصرى احتواء الأزمة بالاستعانة بالملك عبد العزيز الذى تظاهر بالرغبة فى احتواء الأزمة لكن تعليماته الى جماعته من اخوان الوهابية كانت تفجير الأزمة.

نتائج حادثة المحمل :

وقد ترتب على حادثة المحمل نتائج بعيدة الأثر فى العلاقات المصرية السعودية فقد أثارت هذه الواقعة إستياءاً شديداً فى الرأى العام المصرى وشنت الصحافة المصرية حملة هجوم شديد اللهجة ضد النظام السعودى والمذهب الوهابى وتعصب جماعة إخوان الوهابية، وفشلت العناصر المرتبطة بالنظام السعودى والمذهب الوهابى وعلى رأسها الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار فى التصدى لهذه الحملة الأمر الذى ترك انطباعاً سلبياً لدى الرأى العام المصرى عن الدولة السعودية ومذهبها الوهابى.

ثم ان هذه الواقعة كانت مبرراً للملك فؤاد فى الاستمرار على سياسته فى رفض الاعتراف بالحكم السعودى للأراضى المقدسة فى الحجاز فانقطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وأغلقت الوكالة السعودية بعد أشهر قليلة من انشائها فى يناير ١٩٢٦ كما أغلقت القنصلية المصرية فى جدة.

وأدى ذلك الى توقف مصر عن ارسال المحمل منذ عام ١٩٢٧ وتوقف معه الحج المصرى لعدة سنوات فقد أعلنت الحكومة المصرية لراغبى الحج من المصريين أن السفر لأداء فريضة الحج فيه خوف على حياتهم لعدم إستتباب الأمن فى الحجاز وأنها ليست مسئولة عما قد يتعرضون له فى حالة سفرهم تحت مسئولياتهم وأثر ذلك على الحج الشعبى فقل عدد الحجاج المصريين بالرغم من حملات الدعاية التى كانت

تنظمها السعودية عن طريق أعوانها فى مصر لتشجيع المصريين على الحج.

ووضعت مصر أيضاً قيوداً على العلاقات التجارية بين البلدين فرفضت الترخيص لتجار الخيول والابل من النجديين والحجازيين حمل قيمة ما يبيعونه فى مصر من خيول وابل الى بلادهم ذهباً بدعوى الخوف من اشتنزاف ثروة مصر من الذهب.

وأوقفت مصر أيضاً بعثتها الطبية التى كانت تقوم بالعبء الأكبر فى مواجهة الأمراض والأوبئة فى الحجاز خاصة فى مواسم الحج الأمر الذى أدى الى سوء الأحوال الصحية فى الحجاز وأوقفت الحكومة المصرية أيضاً ارسال الصدقات والأوقاف التى كانت ترسلها سنوياً لفقراء أهل الحجاز وأثار ذلك الملك السعودى الذى حاول أن يمارس نوعاً من الضغط على مصر لاجبارها على ارسال الصدقات المخصصة للحرمين الشريفين وفقراء أهل الحجاز وحرض أتباعه باستمرار على إثارة المسألة فقاد الشيخ رشيد رضا حملة اعلامية فى الصحافة كما قام عبد الرحمن عزام عضو مجلس النواب المصرى بإثارة المسألة فى البرلمان لكن الضغط الاعلامى والبرلمانى لم ينجح فى إثناء السلطات المصرية عن موقفها المتشدد.

تدهور العلاقات :

أخذت العلاقات المصرية السعودية فى التدهور اثر حادثة المحمل، وتصاعد التوتر بين البلدين عندما أسس بعض الحجازيين اللاجئين الى مصر هرباً من الحكم السعودى مجموعة من الهيئات والأحزاب السياسية

المناهضة للنظام السعودى وذلك بدعم من الهاشميين فتكونت فى مصر جمعية الشبان الحجازيين برئاسة عبد الحميد الخطيب وحزب الأحرار الحجازيين بزعامة طاهر الدباغ وجمعية الدفاع عن الحجاز بقيادة عبد الرؤوف الصبان ومارست هذه الهيئات والأحزاب نشاطاً سياسياً واعلامياً لمناهضة الحكم السعودى فى الحجاز وتحريره من أيدى النجديين وكان التعاطف المصرى مع هذه المنظمات المناهضة لآل سعود أثاره فى تدهور العلاقات بين البلدين.

كذلك فان حركة ابن رفاده وهو زعيم قبلى تمرد على الحكم السعودى وقاد حركة عصيان ضد نفوذهم فى شمال الحجاز بتأييد من الهاشميين فى الأردن كان لها تأثيرها السلبى فى تدهور العلاقات المصرية السعودية فقد لجأ ابن رفاده بعد هزيمته الى الهروب فى مصر حيث أقام بها لعدة سنوات وأبدت بعض الصحف المصرية تعاطفاً مع حركته ضد حكم آل سعود الأمر الذى جعل عبد العزيز آل سعود يتهم مصر بأنها وراء حركة ابن رفاده وأنها هى التى مولته وأمدته بالأسلحة.

وحاول ابن سعود تسوية المشكلات مع مصر فأرسل مستشاره الشيخ حافظ وهبه الذى اجتمع بوزير الخارجية المصرية واصف غالى فى عام ١٩٢٨ على أمل تصفية العلاقات بين الدولتين والحصول على اعتراف مصر بالنظام السعودى لكن الحكومة المصرية اشترطت لذلك تسوية جميع المشاكل المعلقة بين البلدين وهى مشاكل دينية واجتماعية وسياسية يأتى فى مقدمتها مشكلة الحرية الدينية والمذهبية وما يرتبط بها من المسائل الخاصة بشرب الدخان وزيارة القبور وسماع الموسيقى

وطلبت مصر أن يكون الحكم بين الناس بالشريعة الاسلامية وأن يراعى فيها أوسع المذاهب لا مذب ابن حنبل فى ثوبه الوهابى كما طالبت بالمحافظة على الحرمين الشريفين بأوضاعهما وأحوالهما وتقاليدهما وعدم التعرض لما جرت به العادة فيهما وكذلك صيانة محل ولادة النبى وباقى الآثار الاسلامية ورعاية صدقة المقابر بوجه عام والمحافظة على تقاليد المحمل والكسوة وما يرتبط بهما من دخول القوة العسكرية المصرية بأسلحتها وموسيقاها.

وطلبت مصر أيضاً عدم جباية ضرائب على الحجاج وتوفير المياه فى منى ومكة وتحديد أماكن الذبح وتوفير الرعاية الصحية للحجاج وعدم التدخل فى توزيع الأرزاق والأموال وكذلك الاحتفالات الدينية التى تقوم بها التكايا المصرية.

وطالبت مصر أيضاً بتسوية مشكلة الجنسية الحجازية والغاء قانون الجنسية الذى أصدرته السعودية ١٩٢٦ والذى فرض الجنسية السعودية على جميع أهالى الحجاز وترك الحرية فى اختيار الجنسية لمن يريدها.

وفشلت المفاوضات المصرية السعودية ١٩٢٨ فقد كان الملك السعودى لايستهدف سوى الوصول على الاعتراف المصرى بحكمه للأراضى المقدسة فى الحجاز فى حين كان عدم الاعتراف من وجهة نظر الملك المصرى كفيلاً بتقويض أركان الحكم السعودى فى الحجاز.

وفى ظل هذا التدهور للعلاقات المصرية السعودية.. نشأت جماعة الاخوان المسلمين فى مصر ١٩٢٨.

* * *

الفصل الخامس
حسن البنا
وتمصير التجربة السعودية



حسن البنا
ونمصير التجربة السعودية

حسـن البنا :

يحار المؤرخ بين عبارات التبجيل والتقديس التى أسبغها الأنصار والمريدون على شخصية حسن البنا.. وبين عبارات الهجوم التى ألصقها به خصومه.

فهو فى نظر أنصاره ومريديه.. الإمام.. المرشد العام.. الرجل القرآنى.. الرجل الربانى.. أذكى الشخصيات السياسية فى العالم العربى.. لغز هذا الزمان وأعجوبته.. بل ان بعض أنصاره رفعه إلى مصاف الأنبياء..

وهو فى نظر خصومه.. الشيخ الدجال.. حسن راسبوتين.. الفاشى المعادى للديمقراطية.. عميل القصر والانجليز المعادى للحركة الوطنية.. بل إن بعض خصومه الألداء اتهمه بأنه من سلالة يهودية وأن حركته حركة اسرائيلية هدامه..

لكن وبغض النظر عن آراء الأنصار أو الخصوم فإنه من المؤكد أن حسن البنا قد لعب دوراً سياسياً هاماً فى التاريخ المصرى الحديث فيما بين ١٩٤٩/١٩٢٨ كما أنه من المؤكد أن جماعة الاخوان المسلمين التى أنشأها عام ١٩٢٨ أثرت ولاتزال تؤثر فى الحياة المصرية تأثيراً واضحاً

فقد شكلت عقلية الكثير بين وأثرت فى وجدان الأمة وكان لها آثارها الهامة على الحركة السياسية.

وقد ولد حسن البنا فى عام ١٩٠٦ فى المحمودية بمحافظة البحيرة فى أسرة دينية محافظة وحفظ القرآن والتحق بالتعليم الأولى حيث ظهرت ميوله الدينية المتطرفة مبكراً فأسس جمعية لمنع المحرمات والنهى عن المنكر كانت ترسل خطابات تهديد الى من تتصور خروجهم على تعاليم الأخلاق الاسلامية، كما انضم الى طريقة صوفية كانت تعرف باخوان الحصافية وكان يحضر اجتماعاتها ويلتزم تقاليدها ويشارك فى أذكارها.

وبعد أن قضى فترة للدراسة بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور قرر الالتحاق بمدرسة دار العلوم وانتقل للحياة فى مدينة القاهرة حيث تعرف على التيارات الاسلامية السلفية فكان دائم التردد على مجلة المنار وعلى علاقة وثيقة بصاحبها الشيخ رشيد رضا كما كان على اتصال بالمكتبة السلفية وصاحبها محب الدين الخطيب.. وتعرف فى القاهرة أيضاً على الجناح المحافظ من الحزب الوطنى من أنصار الخلافة العثمانية والدولة الدينية من أمثال الدكتور عبد الحميد سعيد والشيخ عبد العزيز جاويش واللواء محمد صالح حرب وعبد الرحمن عزام وشارك فى عام ١٩٢٧ فى تأسيس جمعية الشبان المسلمين.

جماعة الاخوان المسلمين :

وإثر تخرجه من مدرسة دار العلوم ١٩٢٧ عين مدرساً للغة العربية والدين الاسلامى بمدرسة الاسماعيلية الابتدائية، وهناك بدأ نشاطه الدينى الذى أسفر عن تأسيس جماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٢٨ كجمعية دينية هدفها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومرجعيتها دينية تقوم على أساس أن الاسلام الذى يعتمد على مصادره الأساسية ممثله فى القرآن والسنة هو دين شامل لكافة جوانب الحياة فهو دين ودنيا.. اقتصاد وسياسية.. تشريع وقضاء... وإن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان وان واجب المسلمين هو إحياء هذا الدين والإلتزام به ليشمل مختلف جوانب حياتهم، وأن هذا هو الحل الناجح لكل ما يعانيه المجتمع الاسلامى من مشكلات اجتماعية واقتصادية وفكرية وعسكرية وسياسية.

وفى غضون السنوات الأربع التالية ١٩٢٨/١٩٣٢ انتشرت الجماعة فى مدينة الاسماعيلية وأصبح لها مقراً رئيسياً فى القاهرة كما أسس لها عدة شعب فى مختلف الأحياء والمدن وأصبح للجماعة مطبعة وصحافة تعبر عنها وتشكل إطارها التنظيمى ووضع لها نظام أساسى، وأخذت الجماعة فى الانتشار وكسب الأنصار بين مختلف فئات المجتمع وخاصة فى التجمعات المهنية والأوساط الطلابية خاصة طلاب الأزهر، كما قام المرشد العام بعدة رحلات فى مختلف أقاليم البلاد ومحافظاتها

أسفرت عن انشاء عدد من الشعب التابعة للجماعة، كما أصبح لجماعة الاخوان المسلمين تنظيماتها الاقتصادية ومؤسساتها المالية وأنشطتها الصحية والاجتماعية والتعليمية فقد كانت خطة الأخوان المسلمين حسب تعبير البنا هى صبغ الحياة المصرية بالصبغة الاسلامية وهيمنة تعاليم القرآن على جميع مظاهر الحياة من تشريع واجتماع وسياسة واقتصاد ونشر الاسلام ورفع راية القرآن فى كل مكان.

وهكذا لم تأت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ إلا وكانت جماعة الاخوان المسلمين قد أصبحت قوة سياسية لها وزنها فى المجتمع المصرى ولها أثرها فى صناعة الأحداث على مدار السنوات العشر الباقية من حياة حسن البنا حتى اغتياله ١٩٤٩.

أهداف البنا وجماعة الاخوان :

أعلن البنا ان الاسلام دين ودولة ومصحف وسيف.. وأن الاخوان المسلمين دعوة سلفية وهيئة سياسية هدفها الوصول الى الحكم لأن الحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول ومن ثم تبنى البنا أطروحات الاسلام السياسى وأعلن أن شعار جماعة الاخوان المسلمين هو.. القرآن دستورنا والرسول زعيمنا والخلافة الاسلامية غايتنا.. وأوضح المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين بصراحة أن قعود المصلحين الاسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة اسلامية لايكفرها الا النهوض لاستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لايدينون بأحكام الاسلام

الحنيف، وأن الحكم منهاج الاخوان المسلمين وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لاتنفذ أوامر الله.. وأكد البنا أن الشعب ليس حراً فى اختيار الحكم الذى يريد فالمواطنون معرضون للخطيئة ما لم يلزموا أنفسهم بحكومة تقوم على أسس دينية ولذلك فالمسلمون جميعاً آثمون ما لم يقيموا الدولة الاسلامية وينصبوا عليهم خليفة.

وقدم البنا نموذجاً للدولة الاسلامية التى يتطلع اليها واقتصر هذا النموذج فى مجال الاقتصاد على فرض الزكاة وتحريم الربا وفى المجال الاجتماعى اقتصر على تحريم القمار والخمر ومراقبة التمثيل والسينما والأغانى والروايات والصحافة مع العناية فى مجال التعليم بتعليم الدين واللغة العربية والتاريخ الاسلامى هذا بالاضافة الى منع الاختلاط ومقاومة البذخ والخلاعة وعلاج قضية المرأة اسلامياً ومقاومة الثقافة الأجنبية أما على الصعيد السياسى فقد اقتصر نموذج الدولة الاسلامية على المطالبة بالعمل بالتشريع الاسلامى واعتبار دعوى الحسبة والالتزام بتعاليم الاسلام فى العمل ومراعاة مواقيت الصلاة والمظهر الاسلامى بالاضافة الى القضاء على الحزبية وإعادة الخلافة الاسلامية واحياء الجهاد الاسلامى.

هذه هى أهداف البنا والاخوان المسلمين على الصعيد المحلى والاسلامى.. أما على الصعيد العالمى فقد كانت أهداف جماعة الاخوان المسلمين كما صاغها البنا هى تحقيق عالمية الاسلام وسيادته على كافة

أنحاء الأرض، ولذلك فقد وقف موقفاً معادياً من العالم الخارجى وقسم العالم الى ديار الايمان وديار الكفر، وأعطى لنفسه حق حماية الأقليات الاسلامية فى البلاد غير المسلمة ودعى الى أن تعود راية الاسلام عالية خفاقة على البقاع التى سعدت بالاسلام حيناً من الدهر وأن الأندلس وصقلية والبلقان وجنوب ايطاليا وجزائر بحر الروم كلها مستعمرات اسلامية يجب أن تعود الى أحضان الإسلام وأن البحرين الأبيض والأحمر يجب أن يعودا بحيرة اسلامية كما كانا من قبل.. وتطلع البنا وجماعته الى أبعد من ذلك فأعلن أننا نريد أن نعلن ديننا على العالم وأن نبلغ الناس جميعاً حتى يعم الاسلام آفاق الأرض ويخضع له كل جبار ويكون الدين كله لله وأنه لذلك سيغزوا العلمانية فى عقر دارها حتى يهتف العالم كله باسم النبى صلى الله عليه وسلم وتؤمن الدنيا كلها بتقاليد الاسلام وينتشر ظل الاسلام الوارق على الأرض جميعها.

الطريق الى الحكم :

كانت وسيلة البنا وجماعة الاخوان المسلمين للوصول الى الحكم ومن ثم تحقيق أهداف الجماعة هو الانطلاق من أيديولوچية دينية قادرة على جذب أوسع الجماهير واستثمار الموروثات والمقدسات الدينية فى كسب الجماهير وابتزاز مشاعرها الدينية وتوظيفها نحو غاية الجماعة فى الوصول الى الحكم.

ولذلك اهتمت الجماعة بأمور الدعاية والاعلان وعنيت بنشر

أدبياتها وشيوع أفكارها كما وجهت عناية خاصة الى التربية العقائدية لصياغة نموذج يناسب غايتها فى رفض الآخر والانعزال عنه والتعصب ضده والطاعة العمياء للجماعة والايمان بها وبأهدافها ايماناً مطلقاً والاحساس بالاستعلاء والتمايز الدينى على الآخرين سواء من المسلمين الإخرين أو من غير المسلمين.

وفى سبيل ذلك اهتم البنا بقنوات الاتصال الجماهيرية من صحافة ووسائل عامة ومحاضرات ودروس وخطب واجتماعات ودعاة كما استخدم المدارس والمستوصفات ومؤسسات البر والخدمة العامة لخلق مناخ اسلامى تستطيع الجماعة من خلاله تكوين التعاطف الجماهيرى معها ومع برامجها وغاياتها.

واستتبع ذلك أيضاً توجيه عناية خاصة الى التعليم ومحاولة صبغ التعليم المدنى فى مصر بصبغة دينية مع توجيه عناية خاصة للأزهر والتعليم الدينى حتى يتحول من مؤسسة رسمية من مؤسسات الدولة الى معقل الدعوة الاسلامية فى صياغة المسلمين صباغة دينية تتفق وأهداف جماعة الاخوان المسلمين ومن ثم يصبح للأزهر بمؤسساته وطلابه وأساتذته ووعاظه أكبر الأثر فى نشر دعوة الاخوان وتأييدها.

والى جانب ذلك اهتم البنا وجماعة الاخوان المسلمين على الصعيد الاقتصادى ببناء الجماعة اقتصادياً وتوفير التمويل اللازم للانفاق على تحقيق أهداف الجماعة ونجح البنا فعلاً فى توفير موارد لهذا التمويل من

مصادر متعددة بعضها معلن وبعضها خفى غير معلن.. كما بدأ فى تأسيس ما عرف بشركات توظيف الأموال الاسلامية وهى مشروعات اقتصادية تقوم بعمليات استغلال المال بطرق الحلال التى تجيزها الشريعة الاسلامية سواء كان ذلك بطريق الانتاج أو بطريق المبادلات التجارية من بيع وشراء وايجار واستثمار ومقاولات ومضاربات شريطة أن تكون هذه الأعمال خالية من شبهة الربا.. واستهل الاخوان ذلك بانشاء شركة المعاملات المساهمة للاخوان المسلمين وذلك تحقيقاً لفكرة السيطرة الاقتصادية كمقدمة للسيطرة السياسية على الحكم.

والى جانب ذلك اهتم حسن البنا ومنذ وقت مبكر ببناء القوة العسكرية لجماعته بتكوين ميليشيات عسكرية عقائدية تكون أداته للوصول الى السلطة وظهر ذلك فى عنايته الفائقة منذ تأسيس الجماعة ١٩٢٨ بتكوين فرق الجوالة التى كانت تتلقى قدراً من التدريبات الرياضية والنظامية والعسكرية وعين عدداً من الضباط العسكريين للاشراف على هذه الفرق وتدريبها وكان البنا نفسه حريصاً على مشاركتهم فى هذه التدريبات وكان يرتدى الملابس العسكرية ويقف معهم فى الصف ويقودهم فى الطابور.

ثم تطورت فرق الجوالة فى الثلاثينات وأصبحت قوة عسكرية ضارية ومدربة على جميع أنواع الأسلحة وعمليات حرب العصابات والأعمال التخريبية وعرف هذا النظام باسم التنظيم الخاص أو الجهاز السرى.

وكان تصور البنا لوصول جماعته الى الحكم عن طريق استخدام أساليب القوة الفاشستية والدكتاتورية فلم يؤمن البنا بالديمقراطية بل كان يراها تجارب فاشلة لاتتناسب مع مبدأ القوة الذى تقوم عليه الجماعة الاسلامية، ولم يتصور البنا مفهوم الشورى في الاسلام على نحو يتطابق مع القيم الديمقراطية بل كانت الشورى فى نظره أن ينهض فرد واحد بالمسئولية وزعم البنا أنه تلقى الراية عن رسول الله وليس لأحد أن يحاسبه أو يراقبه وأعلن معاداته الصريحة لكل تيارات الفكر الليبرالى ودعاة الحرية والديمقراطية وهذا هو الذى يفسر اختيار الجماعة لشعار السيفان المتقاطعان وبينهما المصحف دلالة علي أن طريق الجماعة وأسلوبها في الحكم هو طريق القوة وأسلوب العنف.

نظرية الجهاد الاسلامى :

وقد أدرك البنا أن مثل هذه التنظيمات العسكرية تستمد قوتها بالدرجة الأولى من التربية العقائدية التى تغذى الاحساس بالاستعلاء والتمايز الدينى ومشروعية أعمال العنف تحت ستار دينى ولذلك اهتم البنا بوجه خاص بصياغة نظرية العنف السياسى أو ما عرف بنظرية التكفير أو ما يطلق عليه فى أدبيات الجماعة اصطلاح الجهاد الاسلامى.

وكان قوام هذه النظرية كما صاغها البنا هى مصادرة الدين الاسلامى لصالح جماعة الاخوان المسلمين فأعلن أن منهج جماعة الاخوان المسلمين هو المنهج الاسلامى الصحيح وأن ما عداه باطل وخارج على الاسلام وأنه عدا جماعة الاخوان فإن جميع الهيئات الأخرى مناوئة لتعاليم الاسلام ومن يخالف الجماعة يكون خارجاً على الاسلام ذاته.

ومن ثم كان اتجاه جماعة الاخوان المسلمين الى العنف السياسى بعد أن توفر لها الأساس الأيديولوچى أو العقائدى هو أمر طبيعى بعد صياغتهم صياغة تقوم على الاعتقاد بأنهم هم وحدهم الذين يمتلكون الحقيقة المطلقة وأنهم وحدهم هم الذين يمثلون الاسلام وأن ما عداهم باطل ومن ثم كان من السهل عليهم تكفير الآخرين وبالتالى تبرير العنف (الجهاد) ضدهم ذلك أن العنف فى الجماعات الدينية المتطرفة هو جزء من تكوينها الذهنى والنفسى وهو وليد احساسيها بأنها وحدها التى تمتلك الحقيقة وأنها دون غيرها التى يحق لها الحكم باسم الله ولذلك ترفض هذه الجماعات الرأى الآخر وتعامله على أنه كفر وترى أنهم وحدهم هم جماعة المسلمين ومن يحاول مناوأتهم أو الوقوف فى سبيلهم مهدر دمه وأن قاتله مثاب على فعله.

الاخوان والعنف السياسى :

ولذلك فقد حفل تاريخ جماعة الاخوان المسلمين منذ بداياته المبكرة بمختلف مظاهر العنف السياسى تطبيقاً لدعوة البنا لأنصاره :بضرب عنق كل المعارضين بالسيف، وقد تجلى هذا العنف السياسى بصورة واضحة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فشهدت مصر فيما بين ١٩٤٥/١٩٤٩ سلسلة من أعمال العنف فتم اغتيال أحمد ماهر رئيس الوزراء ١٩٤٥ وتم استخدام العنف ضد الطلبة الوفديين واليساريين داخل حرم الجامعة ١٩٤٦ وأغتيل المستشار الخازندار ١٩٤٨ وتعرض اليهود المصريون الى مسلسل من أعمال العنف كما تعرضت أملاكهم للتخريب واستغل الاخوان المسلمون قضية فلسطين ١٩٤٨ لجمع التبرعات المالية وتدريب

عناصرهم وتسليحهم ليزيدوا من قوة ميليشياتهم العسكرية التى ستقودهم الى السلطة.

وظلت الشبهات تحول حول جماعة الاخوان المسلمين وعلاقتها بمسلسل العنف والارهاب الذى تعرضت له مصر آنذاك ١٩٤٥/١٩٤٨ حتى ضبطت سيارة چيب محملة بالأسلحة فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ وكشفت الأوراق التى وقعت فى يد سلطات التحقيق القضائية عن مخطط أعده الاخوان المسلمين للعنف والارهاب.

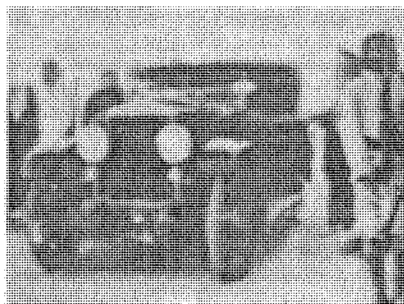
وكان هذا المخطط يتضمن نسف لبعض ثكنات الجيش ومكاتب شركة قناة السويس وتعطيل خطوط السكك الحديدية ونسف الطرق والكبارى وأقسام الشرطة والمطارات والبنوك.

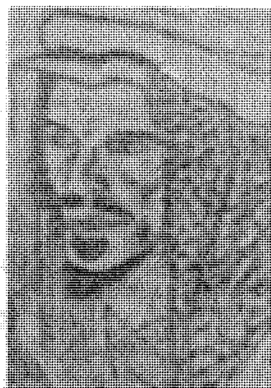
وأيقن النقراشى باشا رئيس الوزراء أن جماعة الاخوان المسلمين قد أصبحت دولة داخل الدولة بأسلحتها وميليشياتها وشركاتها وتنظيماتها ولم يبق لها سوى القفز على السلطة ومن ثم بادر النقراشى فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ باعلان حل الجماعة.. ورد الاخوان على ذلك بفتوى من الشيخ سيد سابق تبيح قتل النقراشى وتم تنفيذ الفتوى وإغتيال النقراشى فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨.. وتصاعد الصدام حاداً بين الدولة وبين جماعة الاخوان المسلمين وهو الصدام الذى وصل ذروته باغتيال حسن البنا فى ١٢ فبراير ١٩٤٩.

* * *

الفصل السادس
العرش السعودى
وجماعة الإخوان الوهابية


الملك عبدالعزيز


أول سيارة اهداها «المكتب الهندي»
المخابرات الانكليزية لعبد العزيز


فيصل الدويش

العرش السعودى
وجماعة الاخوان الوهابية

الدين والدولة :

إذا كان التناقض بين جماعة الاخوان المسلمين كمنظمة سياسية ذات مرجعية دينية وبين مؤسسات الدولة المدنية فى مصر قد وصل ذروته فى الأربعينات بعمليات العنف المتبادل والتى أدت إلى اغتيال رئيس الوزراء المصرى ١٩٤٨ والمرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين ١٩٤٩.

فإن هذا التناقض كان أسبق إلى الظهور فى الدولة السعودية فقد تصادمت الدولة السعودية ذات المرجعية الدينية مع جماعة الاخوان الوهابية فى أواخر العشرينات صداماً دموياً رهيباً أسفر عن القضاء على جماعة الاخوان الوهابية فى السعودية ١٩٣١.

وهذا يضعنا أمام اشكالية الدين والسياسة ومسألة العلاقة بين الدين والدولة وما إذا كان الدين ومؤسساته يجب أن يظل خاضعاً للدولة ومؤسساتها السياسية أم أن الدين ومؤسساته يمكن أن تكون له السيادة على الدولة ومؤسساتها السياسية؟!.

هذه الاشكالية يمكننا أن نتلمس إجابتها فى تتبع قصة الصراع بين العرش السعودى وبين جماعة الاخوان الوهابية فيما بين (١٩٢٦/١٩٣١).

عوامل الصدام بين العرش السعودى وجماعة اخوان الوهابية :

كان اخضاع عبد العزيز آل سعود للحجاز فى ديسمبر ١٩٢٥ ثم اعلان نفسه ملكاً على الحجاز فى يناير ١٩٢٦ نقطة فاصلة فى علاقته بجماعة اخوان الوهابية التى كانت آنذاك القوة الرئيسية العسكرية فى مملكة آل سعود والتى تم بالاعتماد عليها توسيع الملك السعودى ليمتد من ساحل الخليج العربى شرقاً وحتى ساحل البحر الأحمر غرباً.

وترجع أسباب الصدام بين العرش والجماعة الى مجموعة من العوامل بعضها دينى وبعضها سياسى وبعضها الآخر اقتصادى.. ويأتي فى مقدمة هذه العوامل موقف جماعة الاخوان الوهابية من مستحدثات العلم فقد رفضت المخترعات العلمية الحديثة سواء فى مجال الحرب مثل المدرعات والمصفحات أو فى مجال الإتصالات مثل اللاسلكى والتليفون والتلغراف والسيارات واستندت معارضة اخوان الوهابية لهذه المخترعات الى مخالفتها للدين تأسيساً على أن الرسول والصحابة لم يعرفوها ولم يستخدموها... وكانت عقلية الاخوان الوهابية وهى عقلية سلفية جامدة يتوقف التاريخ داخلها عند حدود المرحلة المبكرة من التاريخ الاسلامى فى عصر النبوة والخلفاء الراشدين وتعجز عن تقبل مبدأ تطور التاريخ الانسانى ومن ثم تنظر إلى هذه المخترعات الآتية من بلاد الكفار على أنها من أعمال السحر وأنها أدوات الشيطان ليضل المسلمين عن اسلامهم.

هذا فى الوقت الذى كان عبد العزيز آل سعود فى حاجة الى بناء دولته التى اتسعت آنذاك لتشمل نجد والاحساء والقطيف وحائل وعسير والحجاز ومن ثم حاجته الى هذه المخترعات الحديثة لربط هذه البقاع المترامية الأطراف واحكام قبضته عليها بالاستعانة بآلات الاتصالات الحديثة من تليفون وتلغراف وسيارات وآلات حربية حديثة.

كذلك فقد كان من عوامل الخلاف بين العرش السعودى وجماعة الاخوان الوهابية الموقف مما أطلق عليه فى الأدبيات الوهابية (الجهاد) والذى قام فى حقيقة أمره على الاقرار بحق جماعة اخوان الوهابية فى غزو الآخرين واعتبار أموالهم غنيمة وهو ما كان مستقراً فيما بين انشاء جماعة الاخوان ١٩١٢ والاستيلاء على الحجاز ١٩٢٥ فقد تصادم مبدأ الغزو والغنيمة الذى قامت على أساسه جماعة اخوان الوهابية مع التزامات عبد العزيز آل سعود الدولية، ففى الوقت الذى كان فيه عبد العزيز مرتبطا مع بريطانيا بمعاهدات تلزمه احترام حدود البلاد الواقعة تحت السيطرة البريطانية فقد شن مقاتلوا جماعة الاخوان الوهابية غاراتهم المتتالية على حدود الكويت والعراق وشرق الأردن وأصبح عبد العزيز فى مأزق بين التزاماته الدولية مع بريطانيا بأحترام الحدود مع جيرانه وبين مذهبه الدينى الذى يجرد سكان هذه البلا المسلمين من اسلامهم ويكفرهم بدعوى عدم التزامهم بتعاليم المذهب الوهابى وزاد من حرج عبد العزيز أنه قد استغل مبدأ الغزو والغنيمة فى فترات سابقة

وحرض جماعته من الاخوان على الجهاد ضد خصومه السياسيين فى الاحساء وحائل وعسير والحجاز كما وجه الاخوان للإغارة على حدود العراق والأردن والكويت تحقيقاً لبعض أطماعه السياسية.

ومن ثم وجد جماعة الاخوان فى تناقض عبد العزيز آل سعود ومنعهم من الغارات التى كان قد أباحها لهم والتى كانت تجلب لهم الغنائم والمنافع المادية خضوعاً منه لتعاليم الانجليز الكفار ومنعاً لفريضة الجهاد وقتال المشركين، واضطر عبد العزيز أن يلجأ الى الانجليز لرد هذه الغارات باستخدام أسلحتهم الحديثة التى لاقبل للإخوان بها فقامت الطائرات والمصفحات البريطانية بمطاردة قوات الاخوان الوهابية ورد غاراتهم على حدود الكويت والعراق والأردن لكن ذلك لم يزد جماعة الاخوان إلا إمعاناً فى اتهام عبد العزيز بأبطال فريضة الجهاد والخضوع للكفار.

وعلى صعيد آخر كان عبد العزيز آل سعود يتطلع لكسب الاعتراف الدولى بسلطته على الأراضى المقدسة فى الحجاز وكان ذلك يتطلب بالدرجة الأولى اعتراف مصر بشرعية حكمه للحجاز ولذلك أرسل عبد العزيز عدة بعثات دبلوماسية الى مصر سعياً لتحقيق هذه الغاية فأرسل ولى عهده الأمير سعود ومعه مستشاره الشيخ حافظ وهبه لاجراء اتصالات بمصر التى كانت فى نظر جماعة اخوان الوهابية بلد شرك لايجوز التعامل معها ومن ثم أعتبر الاخوان هذه الاتصالات بين العرش

السعودى والحكومة المصرية تراجعاً عن مذهبهم الذى يوجب الجهاد دولة الشرك فى مصر.

وعلى الصعيد الداخلى واجه عبد العزيز مشكلة تعدد المذاهب الدينية بين رعاياه بعد أن اتسعت دولته لتضم شيعة الاحساء وسنة الحجاز الى جانب وهابى نجد وكان استقرار الأوضاع الداخلية يقتضى من الملك السعودى أن يتعامل مع رعاياه من الشيعة والسنة وأن يكتسب ولاءهم مع حرصه الشديد فى ذات الوقت على أن تظل القوة لأهل نجد وأن تظل السيادة للمذهب الوهابى. لكن جماعة الاخوان اعتبرو ذلك تساهلاً من امامهم ابن سعود فى أمور الدين وتراجعاً عن فريضة الجهاد التى كانت تتيح لهم غزو الشيعة والمخالفين لهم من السنة والحصول على أموالهم غنائم ونسائهم سبايا ومن ثم اتهم الاخوان امامهم بأنه إنما كان يجاهد من أجل شهواته الدنيوية ومطامعه السياسية فلما تحقق له الملك تراجع عن العقيدة وعن الجهاد فى سبيل الله.

ومن ثم راحوا يوجهون الاتهامات لعبد العزيز وينتقدون تصرفاته الشخصية وسكناه للقصور وحياة البذخ واستخدام العطور واقتناء مئات الجوارى وكثرة الزواج بالنساء كما انتقدوا اسرافه فى إنفاق الأموال وفرض الضرائب والمكوس والانفراد بالسيطرة على أموال المسلمين.

وقائع الصدام :

بدأت وقائع الصدام بين الطرفين بمؤتمر عقده جماعة الاخوان الوهابية

فى هجرة الأرطاوية فى عام ١٩٢٦ تحت زعامة فيصل الدويش وسلطان بن بجاد وضيدان بن حثللين ووجه زعماء الاخوان فى هذا الاجتماع اتهاماتهم لعبد العزيز آل سعود بخروجه على الدين وطالبوه بالكف عن استخدام المخترعات الحديثة من سيارات وتلغرافات وغيرها كما طالبوه بالالتزام بفريضة الجهاد وأن يسمح لهم بغزو الكفار المشركين فى الكويت والأردن والعراق وطالبوه أيضاً بالزام جميع رعاياه فى الاحساء والحجاز بأصول المذهب الوهابى كما أصروا على أن يقطع علاقاته بالكفار الانجليز وأن يلتزم عدم اجراء الاتصالات مع المشركين فى مصر.

ورد عبد العزيز على ذلك بعقد مؤتمر فى الرياض ١٩٢٧ حاول فيه استخدام المؤسسة الدينية الخاضعة له والمتمثلة فى فقهاء المذهب الوهابى ومطوعته لاقناع جماعة الاخوان بأن سياسته تتفق مع قواعد الشرع وان استخدام المخترعات الحديثة ليس فيه ما يخالف الدين.. لكن جماعة الاخوان رفضوا الانصياع لمحاولته احتوائهم وأصروا على تعصبهم لموقفهم الدينى وتمسكوا بمطالبهم.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل رفع جماعة اخوان الوهابية راية الجهاد وأعلنوا أنهم حملة رسالة التوحيد الى كافة أرجاء البلاد الاسلامية، وشنوا غاراتهم على الحدود خاصة حدود العراق كما استمروا فى موقفهم المعادى للمخترعات الحديثة والمعارض لسياسة عبد العزيز الخارجية والتزاماته الدولية.

وهكذا أصبح الصدام حتمياً بين العرش السعودى وجماعة اخوان الوهابية ومهد عبد العزيز لهذا الصدام الدموى بمؤتمر عقده فى الرياض ١٩٢٨ استطاع فيه أن يجند فقهاء المذهب الوهابى ومطوعته الى جانبه فى مواجهة مع جماعة الاخوان وأفتى فقهاء المذهب الوهابى بتكفير جماعة الاخوان الوهابية وخروجهم على الجماعة وعلى طاعة ولى الأمر وأيدوا عبد العزيز فى كل المسائل المختلف عليها مع الاخوان وبذلك أوجد عبد العزيز غطاءاً شرعياً لتنفيذ خطته فى القضاء على جماعة اخوان الوهابية.

ثم قاد عبد العزيز قواته النظامية الى جانب قوات كبيرة من البدو الذين أقنعتهم فتاوى الفقهاء بشرعية العرش السعودى وأغرتهم أموال عبد العزيز وعطاياه ووعوده فى الغنائم بالانضمام اليه وأنزل بجماعة الاخوان هزيمة فادحة فى موقعة السبله فى ٣٠ مارس ١٩٢٩ حيث قتل فى هذه المعركة أكثر من ثلاثة آلاف رجل من جماعة الاخوان وطاردت قوات العرش السعودى فلول قوات الاخوان الى قراهم وهجرهم وقامت بتدمير هذه الهجر وتخريبها وسبى النساء وقتل الرجال فى وحشية لاتقل عن وحشية مقاتلى جماعة الاخوان الوهابية.

وبهزيمة جماعة الاخوان الوهابية آن لعبد العزيز أن يعلن عن المعالم الحقيقية للدولة السعودية فعقد مؤتمراً للفقهاء أعلن فيه المبادئ الأساسية للعرش السعودى وهى : -

١) قصر الفتوى الدينية على المؤسسة التابعة للعرش من فقهاء المذهب الوهابى.

٢) خضوع الشعب لأوامر ولى الأمر خضوعاً كاملاً وعدم مناقشة أى أمر صادر منه.

٣) عدم السماح للشعب أفراد وجماعات بممارسة السياسة وتحريم الاجتماعات نهائياً.

٤) الغاء مبدأ الجهاد وانهاء الغزو وتحريم الغنائم.

ثم جمع عبد العزيز (١٥٠٠) من فقهاء مؤسسته الدينية ليضفوا على حركة تصفيته لجماعة الاخوان الوهابية صفة الشرعية الدينية فأفتى له هؤلاء الفقهاء بأن تحكيم السيف فى رقاب الخوارج المعتدين من جماعة الاخوان هى حركة جهاد ضد الخارجين على مذهب التوحيد وأنه على جميع الرعايا المسلمين الانضمام الى الأمير فى الحرب ومن يتخلف بغير عذر شرعى يعتبر خارجاً على الإسلام.

ولكى يحكم عبد العزيز قبضته على قوات البدو المنضمة اليه ويتجنب إنقلابها عليه فى أى وقت أعلن إنفراده بالأعطيات وأن الغنائم جميعها تعود اليه ولاتوزع إلا بأمر منه ووعد عبد العزيز كل من يشترك معه فى قتال الاخوان بأن تكون أموال الاخوان غنائم لهم وأن تكون نساء الاخوان سبى لهم كما هدد عبد العزيز كل من هادن جماعة الاخوان

بمعاملتهم معاملة المشركين وأخذ أموالهم غنائم ونساءهم سبايا.

واستطاع عبد العزيز بهذه القوات أن ينزل ضربته القاصمة بجماعة الاخوان الوهابية وأن يأخذوا أموالهم كغنائم ونساءهم كسبايا، وحاولت بقايا قوات جماعة الأخوان الوهابية أن تلجأ الى مناطق الحدود مع الكويت والعراق لكن القوات البريطانية المتحالفة مع عبد العزيز بن سعود أغلقت عليهم الطريق وطاردتهم بمصفحاتها وطائراتها.

واضطرت قوات الاخوان الوهابية بزعامة فيصل الدويش الى التسليم للانجليز الذين قاموا بدورهم بتسليمهم الى ابن سعود حيث أودع زعماءهم سجن (المصمك).. وهناك لقوا حتفهم.. وبذلك تم لآل سعود القضاء على جماعة اخوان الوهابية.

جماعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

كان عبد العزيز آل سعود قد أدرك فى أعقاب استيلائه على الحجاز فى ديسمبر ١٩٢٥ أنه قد أصبح القوة الأعظم فى الجزيرة العربية وأنه لم يعد بحاجة الى جماعة الاخوان الوهابية كميليشيات عسكرية يفرض بها نفوذه على الجزيرة العربية وأنه بعد أن أصبح سلطاناً لنجد وملكاً على الحجاز ١٩٢٦ عليه أن يتعامل كرئيس دولة وليس زعيما لعصابات من الميليشيات العسكرية.

كما أدرك عبد العزيز بعد أن فشل فى محاولاته لاحتواء جماعة الاخوان الوهابية وتحويلها الى مؤسسة من مؤسسات الدولة أن الصراع مع هذه الجماعة قد أصبح حتمياً فلايمكن أن تخضع الدولة للدين بل يجب أن يخضع الدين للدولة ومن ثم بحث عبد العزيز آل سعود عن صيغة جديدة يتم من خلالها توظيف الدين لحساب السياسة واخضاع الدين لهيمنة الدولة وتحويله الى مؤسسة من مؤسساتها.

وقد وجد عبد العزيز هذه الصيغة الجديدة فيما سمى بهيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. وهى صيغة وجدت فى نظم الحكم الاسلامية كترجمة لما عرف بديوان الحسبة.. ووجد عبد العزيز لهذه الفكرة أصولاً فى تعاليم امامه الأكبر محمد بن عبد الوهاب التى نصت على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على من قدر عليه من جميع الرعية وهو فى حق الامام أعظم فيجب على الامام القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على القريب والبعيد.

وتطبيقاً لذلك كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أنشأ جماعة المطوعين واستخدمهم كشرطة تنحصر مهامها فى اعتقال المتخلفين عن أداء الصلاة فى المساجد أو انتهاك مبادئ الشريعة الاسلامية ونجح هذا النظام فى السيطرة على المجتمع السعودى فقد كان فى حقيقته نوعاً من المراقبة السياسية الدقيقة تحت ستار الدين،

كما وجد عبد العزيز أيضاً فى تراث أسلافه من الحكام السعوديين أصولاً لهذه التجربة فى عهد الدولة السعودية الثانية عندما قام الامام فيصل بن تركى حوالى منتصف القرن التاسع عشر (١٨٤٣/١٨٦٥) بتنظيم هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأصدر أوامره الى حكام الأقاليم بمساعدة هذه الجماعة واعتبار أفرادها عوناً يعتمد عليهم.. فتصبح بمثابة حزب يعتمد عليه وعين للدولة فى كل مكان وجعل لها موظفين دينيين هم المطوعة كانوا بمثابة قوة اجتماعية ودينية وسياسية منظمة لدعم الحكم.

ولذلك فقد بادر عبد العزيز فى مؤتمر الرياض ١٩٢٦ الى تأسيس هيئة دينية جديدة تكون تحت سلطة الدولة عرفت باسم هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تقوم بالمحافظة على أداء شعائر الدين ومراقبة الأمن العام.

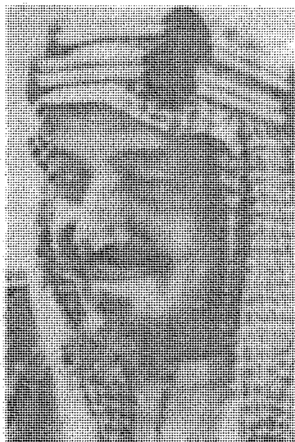
وبدأت الهيئة تمارس مهامها فى الحجاز أولاً ثم أخذت تنتشر تريجياً فى مختلف أرجاء المملكة وبذلك وضع عبد العزيز الدين فى خدمة الدولة فقد أصبحت الهيئة فى حقيقة أمرها أداة تنفيذية وجهاز للأمن العام يتخذ من الشريعة الاسلامية وسيلة لمراقبة الناس وضبط الأمن.

وبعد أن نجح عبد العزيز آل سعود في القضاء على جماعة الاخوان ١٩٣١ أصبحت هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هى الشكل الذى انتهى اليه العرش السعودى فى توظيف الدين لحساباته السياسية ولم يسمح العرش السعودى لهيئة الأمر بالمعروف أن تتسلح حتى لاتتحول الى قوة عسكرية على نحو ما كان عليه جماعة الاخوان ولم يسمح لها بتنفيذ العقوبات بنفسها بل أوكل ذلك الى جهاز الشرطة وبذلك أخضع العرش السعودى الدين الاسلامى لحساب الدولة السعودية.

* * *

الفصل السابع

السعودية والإخوان المسلمون



الملك عبدالعزيز



حسن البنا

السعودية والاخوان المسلمين

وهنا نأتى الى السؤال الذى طرحناه فى مقدمة هذه الدراسة ومؤداه.. هل هناك ثمة علاقة بين تجربة جماعة الاخوان الوهابية فى السعودية ١٩١٢ وبين تجربة جماعة الاخوان المسلمين فى مصر ١٩٢٨؟!

رأى الدكتور هيكل :

يجيبنا الدكتور محمد حسنين هيكل على هذا السؤال الملح والمحير فى مذكراته فى السياسة المصرية قائلاً : «انه قبيل سفره للحج فى عام ١٩٣٦ علم أن على ماهر باشا - رئيس الوزراء - يريد أن يعيد العلاقات بين الدولتين السعودية والمصرية... فذهبت اليه وعرضت عليه معاونته لتحقيق مقصده.. ثم سافرت الى الحجاز على ظهر الباخرة (كوثر) وانني لفى بهوها يوماً بعد أن ارتديت رداء الاحرام إذ تقدم الى حاج لم أكن قد رأيته من قبل وقدم نفسه ذلك هو الشيخ حسن البنا وقد ذكر لى يومئذ أنه ألف جمعية الاخوان المسلمين لتهذيب الناس تهذيباً اسلامياً صحيحاً وأنه يطمع فى قبولى رئاستها ، والرجل لبق حسن الحديث حلو الالقاء عرفت ذلك عنه فى هذه المقابلة وعرفته بعد ذلك أثناء مقامنا بالحجاز فكان يقف فى كل جمع خطيباً واعظاً يتلو آيِ القرآن فى مناسباتها ويلقى خطبه فى عبارة بليغة وعربية صحيحة وقيل لى وأنا بالحجاز - إن له صلة بالحكومة السعودية وأنه يلقى منها عطايا ومعونة- ».

التقارير الأمنية :

وتؤكد تقارير جهاز البوليس السياسى ما انتهى اليه الدكتور هيكل من وجود صلة لحسن البنا بالحكومة السعودية وأنه يلقى منها عطايا ومعونة وتؤكد هذه التقارير الأمنية أن «حسن البنا مرتبط ببعض دوائر الحكم السعودى وله اتصالات مشبوهة بأجهزة النظام السعودى وأنه يسمح له فى مواسم الحج بنشاط واسع ويستقبل من رجال الدولة السعودية استقبالاً ينم عن الحفاوة والاهتمام الخاص».

زعامات الإخوان المنشقة :

وتشير بعض زعامات الاخوان المسلمين التى انشقت على حسن البنا مسألة تمويل جماعة الاخوان المسلمين مؤكدة اتهام البنا بتقاضى أموال من جهات أجنبية والتلاعب المالى فالذين انشقوا على البنا فى الاسماعيلية ١٩٣٢ اتهموه فى ذمته المالية، والذين انشقوا عليه فى القاهرة من جماعة شباب محمد ١٩٣٩ اتهموه بالتلاعب المالى، وانشقاق عام ١٩٤٧ الذى تزعمه أحمد السكرى نائب المرشد العام وجه تهمة العمالة الى البنا واتهمه بتلقى أموال من جهات أجنبية.

مذكرات البنا :

ويحاول البنا تبرئة ذمته المالية وازالة الشكوك التى علقت بمسألة تمويل جماعة الاخوان المسلمين فيقول فى مذكراته الدعوة والداعية

«لازالت موارد الاخوان وتنظيمهم المالى ومصادر نفقاتهم لغزاً كبيراً أمام كثير من الذين لم يتصلوا بهم ولم يحاولوا أن يتعرفوا الأمور على وجهها وكثير من الناس حين يرى هذا النشاط الدائب والعمل المتواصل والمشروعات الكثيرة والمطبوعات المتوالية والحفلات الضخمة والاجتماعات الحاشدة يسأل نفسه.. من أين للاخوان كل هذا ؟! وكيف يحصلون على المال ومن أى جهة يجلبونه وهم قوم معظمهم إنما يجد ما يكفيه فقط وليس فيهم كثير من الأغنياء أو الأثرياء؟! وخصوصاً إذا كان هذا المتسائل من رجال الأحزاب أو الجماعات التى تنفق الكثير فى مثل هذا النشاط ولاتجد القليل من البذل من الأعضاء والأنصار وقد يذهب الكثير من هؤلاء المتسائلين فى الظن الى درجة الاتهام بالباطل فيقول يأخذون من الدول الفلانية أو الهيئة العلانية أو تنفق عليهم هذه الجهة العالية أو تلك الناحية الخفية وكل ذلك وهم باطل وظن فاسد واتهام جرئ وقول مفترى لن يقوم عليه دليل ولا شبه دليل»..

ويجيب زعماء الاخوان المسلمين المنشقين على المرشد العام بأننا «طلبنا من فضيلته تكوين هيئة قوية لمراقبة المال والمحافظة عليه لتكون مسئولة أمام الاخوان المسلمين فأعرض فضيلته وأصم أذنيه عن هذا القول»..

فقد كان المرشد العام حريصاً أشد الحرص على أن يحكم قبضته على أوجه النشاط المالى للجماعة تمويلاً وانفاقاً وأن ينفرد به وحده وأن

يديره بطريقة فى غاية السرية.. يؤكد ذلك أن المرشد العام قد أدار جماعة الاخوان المسلمين بشكل فردى تماماً حتى عام ١٩٣٣ عندما وضع أول هيكل تنظيمى لادارة الجماعة لكن المرشد العام احتفظ لنفسه بحق تحديد مهمة واختصاصات كل جهاز فى هيكل الجماعة الادارى ولم يحدث أن أعطى البنا أى جهاز من أجهزة الجماعة أى اختصاصات مالية وعندما وضع القانون الأساسى لجماعة الاخوان فى عام ١٩٤٥ لم يمنح أى جهاز من أجهزة الهيكل الادارى للجماعة أى اختصاصات مالية ومن ثم ظلت الأمور المالية فى قبضة المرشد العام الذى كان حسب تعبير السادات فى كتابه عن أسرار الثورة «الرجل الذى يعد العدة لحركة الاخوان ويرسم سياستها ثم يحتفظ بها لنفسه وأن أقرب المقربين اليه لم يكن يعرف من خططه شيئاً ولا من أهدافه شيئا».. ومن ثم فإنه فى ظل مثل هذا النظام الادارى والمالى لا نتوقع وجود وثائق مالية تكشف تفاصيل العطايا والمعونة التى كان يتلقاها البنا من السعودية... ولذلك فقد حق للبنا أن يتحدى خصومه الذين يتهمونه بالحصول على تمويل من الخارج بأن يقدموا دليلاً أو شبه دليل على ذلك.

بيد أن هذا الاتهام وان أعوزه الدليل الوثائقى الذى يكشف تفاصيل ما كان يتلقاه البنا من عطايا ومعونات من الحكومة السعودية فإنه يظل مع ذلك قائماً في حق البنا فلم يقدم البنا تفسيراً لما أثاره حول مصادر التمويل التى مكنت الجماعة من القيام بنشاطها الهائل.. بل

ترك مسألة موارد الاخوان وتنظيمهم المالى ومصادر نفقاتهم لغزاً كبيراً على حد تعبيره دون أن يقدم حلا لهذا اللغز.. وقعود البنا عن تقديم حل للغز الكبير يكفى فى حد ذاته لتأكيد الاتهامات التى وجهت الى البنا بأنه يلقى من الحكومة السعودية عطايا ومعونات.

علاقة البنا بالسعودية :

لكن المرشد العام وإن أنكر وجود تمويل لجماعته من السعودية أو غيرها من القوى الخارجية والدول الأجنبية فإنه لم ينكر ارتباطه بعلاقات وثيقة مع السعودية فهو يكشف فى مذكراته الدعوة والداعية عن علاقته المبكرة بالنظام السعودى منذ انشاء الجماعة فى عام ١٩٢٨ فيقول «ان فضيلة الشيخ حافظ وهبه مستشار جلالة الملك ابن السعود حضر الى القاهرة رجاء انتداب بعض المدرسين من وزارة المعارف ليقوموا بالتدريس فى معاهدها الناشئة، وكانت الحكومة المصرية لم تعترف بعد بالحكومة السعودية تنفيذاً للسياسة الانجليزية التى تفرق دائماً بين الأخوين على حين كان الشعب المصرى بأسره يستنكر هذا الوضع الشاذ وكانت الطبقة المثقفة ترى فى نهضة الحجاز الجديدة أملاً من آمالها فاتصل بى السيد محب الدين الخطيب وحدثنى فى هذا الشأن فوافقت مبدئياً.. ثم يستطرد قائلاً - إنه قد تقابل مع صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حافظ وهبه مستشار جلالة الملك ابن السعود للاتفاق معه على السفر وشروط الخدمة.. ويضيف البنا - وكان أهم شرط وضعته أمام

فضيلة الشيخ حافظ ألا أعتبر موظفاً يتلقى مجرد تعليمات لتنفيذها بل صاحب فكرة يعمل على أن تجد مجالها الصالح فى دولة ناشئة هى أمل من آمال الاسلام والمسلمين شعارها العمل بكتاب الله وسنة رسوله وتحرى سيرة السلف الصالح».. ثم يمضى البنا موضحاً الجهود التى بذلها الشيخ حافظ وهبه لدى وزيرى الخارجية والمعارف للموافقة على سفر البنا للعمل بالسعودية إلا أن هذه الجهود لم تنجح وتم اختيار مدرس آخر بدلاً منه.

ثم يؤكد البنا استمرار علاقته وعلاقة جماعة الاخوان المسلمين بالنظام السعودى فيقول فى مذكراته عن أحداث عام ١٩٣٤ «كان الاخوان ينتهزون كل فرصة فيتصلون برجال البلاد العربية والاسلامية توثيقاً للرابطة ونشراً للدعوة ومن ذلك زيارتهم للسيد عباس القطان محافظ المدينة المنورة بمناسبة شفائه من المرض - ثم يضيف - وقد تحدث الاخوان ملياً فى شئون الحجاز وشئون المسلمين عامة»..

هذه النصوص التى ساقها البنا فى مذكراته تكشف عن وجود علاقة بين البنا وجماعة الاخوان المسلمين وبين النظام السعودى وحرص البنا وجماعته على استمرار الاتصالات بالمسئولين السعوديين توثيقاً للروابط، كما تكشف عن تعاطف البنا مع النظام السعودى منذ بداية تأسيس جماعته ١٩٢٨ واستنكاره بشدة لموقف الحكومة المصرية من عدم الاعتراف بالحكومة السعودية، كما تكشف عن أن علاقة البنا بالسعودية

لم تكن علاقة وظيفية بقدر ما كانت علاقة ذات طبيعة خاصة - سياسية ودينية - فقد كان البنا يرى فى السعودية الدولة الممثلة للإسلام وكان يعتبرها أمل المسلمين وكان يأمل أن يكون له دور داخل إطارها الأيديولوجى وأهدافها السياسية.

الصراع المصرى السعودى :

كذلك فان علاقة البنا وجماعة الاخوان المسلمين يمكن أن تكون أكثر وضوحاً إذا وضعت داخل النسق العام لتطور الأحداث التاريخية وطبيعة الصراع المصرى السعودى والتدهور الذى أصاب هذه العلاقات خاصة فى أعقاب الغاء الخلافة العثمانية خلال عشرينات هذا القرن.

ومن ثم فقد كان من الطبيعى أن يكون لمصر سياستها تجاه السعودية فقد تخوفت مصر من أطماع عبد العزيز بن سعود فى الاستيلاء على الأراضى المقدسة فى الحجاز فلما تم له غزو الحجاز ١٩٢٥ وإعلان نفسه ملكاً عليها ١٩٢٦ رفضت مصر بشدة الاعتراف بسلطة ابن سعود على الحجاز وظلت العلاقات مقطوعة بين البلدين لعشر سنوات حتى ١٩٣٦ وتصاعد الخلاف بين البلدين حول موضوع الخلافة الاسلامية مما أدى الى فشل مؤتمر الخلافة الاسلامية فى القاهرة (مايو ١٩٢٦) وفشل المؤتمر الاسلامى فى مكه (يونيه ١٩٢٦) ووصل الخلاف ذروته بحادثة المحمل (يونيه ١٩٢٦) والصدام الدموى الذى شهدته هذه الحادثة ثم ما تلى ذلك من تطورات عدائية فأوقفت مصر ارسال المحمل

والبعثة الطبية وأوقفت ارسال الصدقات والأرزاق ووضعت قيوداً على الحج وفتحت أبوابها لقوى المعارضة الحجازية ضد الحكم السعودى مثل جمعية الشبان الحجازيين وحزب الأحرار الحجازيين وحركة ابن رفاد وشنت الصحافة المصرية حملة عدائية ضد حكم آل سعود وتعصب الوهابية الدينى.

وكان من الطبيعى أيضاً أن يكون للسعودية سياستها تجاه مصر خاصة بعد أن تطلعت السعودية بعد سيطرتها على الأماكن المقدسة الاسلامية ١٩٢٥ الى زعامة العالم الاسلامى ودخلت في صراع مع مصر على زعامة المنطقة وأدى الصراع بين الملك فؤاد فى مصر والملك عبد العزيز فى الحجاز حول مسألة الخلافة الى قطع العلاقات بين البلدين.. وأعادت هذه الأزمة الى أذهان السعوديين خبرات تاريخية سابقة ترجع الى مستهل القرن التاسع عشر عندما نجحت الدولة المدنية الحديثة التى أسسها محمد على فى مصر في القضاء على الدولة الدينية السلفية فى السعودية ومن ثم أدركت السياسة السعودية أن بناء دولتها الدينية السلفية رهين بتحجيم الدور المصرى ومقاومة الاتجاهات التحديثية ولذلك بادرت السعودية الى محاولة اختراق مصر وخلق أنصار لها فى مصر يبشرون بمذهبها الوهابى وينحازون الى نظامها السعودى، واستخدمت سلاح المال خاصة بعد أن تزايدت مواردها المالية من الحج والزكاة والمعونة البريطانية بالاضافة الى تزايد عائدات النفط السنوية من

١/٤ مليـون دولار إبان سنوات الحـرب العالميـة الأولى الى ١٠ مليـون دولار إبان سنوات الحرب العالمية الثانية ثم وصلت الى ٦٠ مليون دولار فى عام ١٩٤٨.

وقد نشأت جماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٢٨ وتطورت حتى عام ١٩٤٩ داخل هذا الاطار من الصراع المصرى السعودي.

دور الشيخ رشيد رضا :

وداخل هذا الاطار التـاريخى والنسق الفكرى للصـراع المصـرى السعودى يأتى دور رشيد رضا الذى ارتبط به حسن البنا لدرجة يمكن القول معها بأن جماعة الاخوان المسلمين قد خرجت من عباءة الشيخ رشيد رضا ومجلته (المنار)، وقد كان رشيد رضا على اتصال وثيق بالنظام السعودى واستخدم مدرسة الدعوة ومجلة المنار لنشر الفكر الوهابى والتبشير بالنظام السعودى ومن ثم يمكن القول بأن علاقة البنا والاخوان بفكر رشيد رضا ونشاطه السياسى قد قادهم بشكل أو آخر للإرتباط بالفكر الوهابى والنظام السعودى.

الصـوفيـة :

كذلك يشكل تغير موقف البنا وجماعة الاخوان المسلمين من الطرق الصوفية علامة هامة على الارتباط بالسعودية وبالمذهب الوهابى. فقد كان البنا فى البدء من أنصار استخدام الطرق الصوفية فى نشر دعوة

الاخوان المسلمين وكان بحكم نشأته الصوفية وانتمائه الى الطريقة الحصافية ومشاركته فى بعض مظاهر الدروشة الدينية والطقوس الصوفية واعتقاده بمعجزات الأولياء وكراماتهم شديد الاعجاب ببعض أولياء الصوفية مثل السيد البدوى وابراهيم الدسوقى ودور الصوفية فى توظيف الدين لأغراض سياسية على مر التاريخ.

لكن هذا الموقف من الصوفية وطرقها سرعان ما تغير بعد أن توثق ارتباط البنا بالفكر الوهابى والنظام السعوى فأعلن معاداته الصريحة للصوفية وعدائه المطلق لطرقها واتهمها بالخروج على الاسلام وتضليل المسلمين. وأدى موقف البنا المتصلب من الصوفية وعدائه المطلق لطرقها الى انشقاقات داخل جماعة الاخوان المسلمين وخروج كثير من أعضاء الجماعة الذين يؤمنون بالصوفية وعلى رأسهم مصطفى الطير الوكيل الثانى للمرشد حسن البنا.

ولاشك أن هذا الموقف المتغير للمرشد العام من الصوفية كان بسبب الارتباط الوثيق لمرشد الاخوان بالفكر الوهابى الذى يعادى فكر الصوفية وتبعية للنظام السعودى الذى يحرم جميع أشكال الطرق الصوفية.

علاقة البنا بالسعودية :

كذلك يشكل موقف البنا وجماعة الاخوان المسلمين من فريضة الحج علامة أخرى على مدى الارتباط بالسعودية وبمذهبها الوهابى، فرغم أن الحج فريضة اسلامية لمن استطاع اليه سبيلا فان الثابت من سيرة البنا أنه

كان حريصاً على أداء شعائر الحج سنوياً وأنه فيما بين عامى ١٩٣٦/١٩٤٨ لم يتخلف عن الحج سوى عام واحد.. فهل كان ذلك فرط ورع من المرشد العام ومزيد من حرصه الشديد على نشر دعوته والحديث الى وفود بيت الله الحرام والسعى فى توثيق الصلات والعهود مع الوافدين من أنحاء عالم الاسلام كله كما ذهب الى ذلك أبو الحسن الندوى؟!

ربما كان ذلك يمكن أن يكون صحيحاً لو أن المسألة اقتصرت على شخص حسن البنا لكن عندما تتعدى المسألة ذلك الى درجة الالزام بالنسبة لجميع أعضاء جماعة الاخوان المسلمين فإنها تكون فى حاجة الى تفسير آخر.

ذلك أن الامام البنا وضع لائحة لأداء الحج والعمرة بالنسبة لأعضاء جماعته ونصت هذه اللائحة الصادرة عام ١٩٣٥ على تكليف أعضاء الجماعة من مرتبة الاخوة العاملين والأخوة المجاهدين بادخار جزء من أموالهم يخصص للحج سنوياً وإذا حدث تقصير فى الادخار بغير عذر شرعى قاهر تنزل مرتبة العضو العامل أو المجاهد الى مرتبة أدنى هى مرتبة الأخ المنتسب أو المساعد. كما كانت اللائحة تنص على تشكيل لجان للدعاية للحج والتشجيع عليه.

وتفسير هذا الاهتمام المبالغ فيه بمسألة الحج يمكن أن نجد تفسيره فيما أصاب السعودية من خسائر مالية من جراء انقطاع الحجاج فقد

نقص عدد الحجاج نقصاً شديداً من (١٩٠) ألف فى عام ١٩٢٦ إلى (٣٠) ألف عام ١٩٣٢ وحاولت السعودية تنشيط الحج بكافة الطرق التى كان من بينها استخدام رجلها وتنظيمها فى مصر لمساعدتها فى الخروج من أزمتها المالية والسياسية التى سببها تناقص أعداد الحجاج.

وحدة النظرية وتنوع التطبيق :

والآن نأتى الى عامل حاسم وأخير في علاقة تجربة الاخوان المسلمين في مصر ١٩٢٨ بتجربة اخوان الوهابية فى السعودية ألا وهو .. وحدة النظرية مع قدر من التنوع فى التطبيق.

وفى هذا المجال يمكننا أن نسجل الملاحظات الرئيسية التالية : -

١ - **التشابه فى الاسم** - فقد سميت التجربة السعودية باسم (الاخوان) أو (اخوان الهجر) أما التجربة المصرية فقد أطلق عليهم اسم (الاخوان المسلمين) واسم الاخوان بالأساس مفهوم دينى مقتبس من رابطة الأخوة الاسلامية أو على حد تعبير البنا - نحن إخواناً نعمل للاسلام ونجاهد فى سبيله فنحن أخوة فى خدمة الاسلام وإذن فنحن (الاخوان المسلمون).

٢ - **فكرة الهجرة** - فقد قامت كلا التجربتين السعودية والمصرية على فكرة الهجرة كناية عن هجرتهم للمجتمع الكافر وانتقالهم الى المجتمع الاسلامى الحقيقى وتشبها بهجرة المسلمين الأوائل من ديار الجاهلية فى مكه الى ديار الاسلام فى يثرب.

وفكرة الهجرة هذه كانت واضحة تماماً فى التجربة السعودية حيث أعتبر الانتقال من حياة البداوة الى حياة الاستقرار والزراعة فى الواحات التى سميت باسم الهجرة كناية عن الهجرة الجاهلية الى الاسلام.

أما في التجربة المصرية فنجد أن الشيخ البنا فكر فى الهجرة بجماعته من مصر الى بلد يكون أشد قرباً من الاسلام وذلك تطبيقاً لفكرة هجرة المجتمع الجاهلى لتكوين الجماعة الاسلامية ثم العودة للقضاء على المجتمع الكافر، لكن البنا عدل عن هذه الفكرة واقتنع بأن مصر على ما بها من عيوب هى أحسن بيئة للدعوة الاسلامية وتكوين الجماعة الاسلامية.

٣ - **الموقف المعادى من الحضارة الحديثة** - كذلك فقد اشتركت تجربتا الاخوان في السعودية وفى مصر فى الموقف المعادى من الحضارة الأدبية ومنتجها المادى والفكرى. فكان اخوان الوهابية يرفضون المخترعات الحديثة ويرونها نوعاً من السحر اخترعه الشيطان ليضلل المسلمين عن دينهم أما الاخوان المسلمين فهم وان لم يعارضوا المنهج المادى للحضارة الحديثة بنفس الدرجة الا أنهم رفضوا بشدة المنتج الثقافى الذى تمثل فى مفاهيم وقيم ونظم العصر الحديث فرفضوا النظريات العلمية والفلسفية والأفكار الاجتماعية ورفضوا مبدأ تحرير المرأة والديمقراطية السياسية والليبرالية الفكرية

وأعلن البنا صراحة أنه وجماعته يرفضون بشدة كل الأفكار الالحادية والعلمانية التى انتجتها الحضارة الحديثة.

٤ - **العناية بالمظهر الدينى** - حيث حرصت الجماعتان السعودية والمصرية على عدد من المظاهر الخاصة بالملبس والشكل والسلوك وأصبغوا عليها صبغة اسلامية فتمسكوا بشدة بمسألة اطلاق اللحية وحلق الشارب ومنع لبس الحرير والذهب ومنع التدخين والموسيقى وكذلك اهتموا بمراعاة مواقيت الصلاة والمظهر الاسلامى ودعوا الى وجوب التمسك بكل المظاهر الاسلامية مع فرق فى درجة التمسك فكان اخوان الوهابية فى السعودية أكثر تشدداً فى هذه المظاهر عن الاخوان المسلمين فى مصر.

٥ - **ظاهرة العنف** - حيث اشتركت التجربتان السعودية والمصرية فى سمة العنف وظاهرة الارهاب ففى التجربة السعودية تم تجنيد البدو وإعدادهم عسكرياً واستغلال نزعاتهم الحربية وكانت هجرهم بمثابة ثكنات عسكرية وقاموا بعمليات غزو وسلب وتخريب وسبى اتسمت بالعنف والوحشية وأشاعوا الذعر فيما حولهم من قبائل ودول.

ولم تختلف التجربة المصرية الا فى درجة العنف والارهاب والوحشية فقد حرص البنا على تكوين التنظيم الخاص أو الجهاز السرى وقام بتدريبه وتسليحه بحيث أصبح قوة ميليشيا عسكرية

قامت بكثير من عمليات الاغتيال السياسى عمليات التخريب والارهاب وأشاعت فى مصر خاصة خلال حقبة الأربعينات ظاهرة العنف والارهاب.

٦ - **العقلية النقلية النصية السلفية** - كذلك فقد اشتركت التجربتان السعودية والمصرية في الاعتماد على نظرية العودة بالاسلام الى أصوله الصحيحة التى كان عليها فى عهد النبوة والسلف الصالح ومن ثم كانا دعوة سلفية تقف عند حدود الماضى وتحاول احيائه وبعثه ولذلك كانت عقلية الاخوان فى مصر والسعودية تتمسك بحرفية النصوص الدينية كما وردت فى القرآن والسنة ومن ثم اتسمت عقليتهم بالجمود وبالوقوف عند ظاهر النص وحدود النقل دون أن تتيح مجالاً مناسباً للاجتهاد واعمال العقل.

٧ - **التطرف والتعصب والاستعلاء الدينى** - كذلك فان من السمات المشتركة لشخصية الاخوان فى السعودية وفى مصر ذلك التطرف والتعصب الدينى الناتج عن احساسهم بامتلاكهم وحدهم للحقيقة الكاملة والمطلقة وأنهم وحدهم هم الذين يتميزون على غيرهم بأنهم المسلمون الحقيقيون ومن ثم احساسهم بالاستعلاء الدينى على الآخرين.

٨ - **نظرية التكفير** - كذلك فقد اتفقت الجماعتان السعودية والمصرية في الاعتماد على نظرية تكفير الآخرين ومصادرة الاسلام لحسابهم

الخاص فكانت جماعة الاخوان فى السعودية تعتبر أنهم دون غيرهم من المذاهب والملل والنحل الاسلامية هم المسلمون الحقيقيون وأن من لايعتنقون مبادئهم لايكونوا مسلمين والمجتمع الذى لايستجيب لمبادئهم وينقاد لها يكون مجتمع كافر.

وهذا ذاته هو ما اعتمد عليه حسن البنا حيث صادر الدين الاسلامى لصالح جماعته وأعلن أن منهج جماعة الاخوان المسلمين هو المنهج الاسلامى الصحيح وأن ما عداه باطل وخارج على الاسلام وأنه عدا جماعة الاخوان المسلمين فان جماعة الهيئات الأخرى مناوئة لتعاليم الاسلام ومن يخالف الجماعة يكون خارجاً على الاسلام ذاته.

٩ - **نظرية الجهاد** - وقد ترتب على الأخذ بنظرية التكفير الأخذ بنظرية الجهاد حيث أخذ اخوان الوهابية بمبدأ الجهاد من أجل أهداف الجماعة واعتبروا التخلى عن الجهاد رده وكفر عن الاسلام فلا يكفى فى نظرهم أن تؤمن بمبادئهم بل يجب أن تجاهد من أجلها.

وهذا هو ما أخذ به حسن البنا مع اختلاف فى الدرجة فقد صاغ الاخوان المسلمين مبدأ الدعوة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بشكل عدوانى ودعى البنا صراحة لاهدار دم جميع المخالفين وضرب أعناقهم بالسيوف.

١٠- **شكل المجتمع الاسلامى** - كذلك فقد التقت الجماعتان السعودية

والمصرية فى تصورها لشكل المجتمع الاسلامى ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . ففى مجال الاقتصاد اتفقا على فرض الزكاة وتحريم الربا ، وفى المجال الاجتماعى اقتصر تصورهم على تحريم القمار والخمر وتحريم اللهو ومنع الاختلاط والاهتمام بتعليم الدين واللغة العربية والتاريخ الاسلامى ومقاومة الثقافة الأجنبية ومراعاة مواقيت الصلاة والمظهر الاسلامى ، وعلى الصعيد السياسى اقتصر نموذج الدولة الاسلامية على الأخذ بالتشريع الاسلامى واقامة الدولة الدينية ودعم سلطة الامام المطلقة ورفض الحزبية والنظم الديمقراطية .

وهكذا يمكننا أن نخلص الى اتحاد السمات النظرية والتطبيقية لكل من جماعة الاخوان الوهابية التى نشأت فى السعودية ١٩١٢ وجماعة الاخوان المسلمين التى نشأت فى مصر ١٩٢٨ .

مـراجـــع

١ – إبراهيم حلمى – كسوة الكعبة المشرفة .

٢ – إبراهيم العدوى – رشيد رضا .

٣ – إبراهيم المسلم – العلاقات السعودية المصرية .

٤ – أحمد الشرباصى – رشيد رضا .

٥ – أحمد عبد الرحيم – حركة التجديد الاسلامى .

٦ – السيد يوسف – الاخوان المسلمون .

٧ – ألكسندر باكوفليف – العربية السعودية والغرب .

٨ – أيمن الياسينى – الاسلام والعرش .

٩ – حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية .

١٠ – رفعت السعيد – حسن البنا .

١١ – ريتشارد ميتشل – الاخوان المسلون .

١٢ – زكريا سليمان – الاخوان المسلمون .

١٣ – شكيب أرسلان – السيد رشيد رضا .

١٤ – صلاح الدين المختار – تاريخ المملكة العربية السعودية .

١٥ – طارق البشرى – الحركة السياسية فى مصر .

١٦ – عبد العظيم رمضان – الاخوان المسلمون .

١٧ – عبد العليم أبو هيكل – العلاقات بين عبد العزيز بن سعود وجماعة الاخوان .

١٨ – عبد الفتاح أبو عاليه – الدولة السعودية الثانية .

١٩ – عبد القادر نهنوش – العلاقات المصرية السعودية .

٢٠ – فاسيليف – تاريخ العربية السعودية .

٢١ – محمد حسين هيكل – مذكرات فى السياسة المصرية .

٢٢ – محمد جلال كشك – السعوديون والحل الاسلامى .

٢٣ – محمد على سعيد – بريطانيا وابن سعود .

٢٤ – مديحة درويش – العلاقات المصرية السعودية .

٢٥ – ناصر السعيد – تاريخ آل سعود .

السعودية والأخوان المسلمون

السؤال الذى تطرحه هذه الدراسة وتحاول أن تجيب عليه هو .. هل هناك ثمة علاقة بين تجربة جماعة الاخوان التى قامت فى السعودية فيما بين (١٩١٢ / ١٩٣١) كحركة سياسية ذات بعد دينى وهابى وبين تجربة جماعة الاخوان المسلمون التى قامت فى مصر فيما بين (١٩٢٨ / ١٩٤٩) كحركة سياسية ذات مرجعية دينية سلفية ؟ !

والدراسة بما تكشفه من حقائق عن طبيعة الصراع المصرى السعودى والتناقض القائم بين النموذج السعودى الدينى السلفى وبين النموذج المصرى المدنى الحديث ، وبما تكشفه من علاقات بين تجربة الاخوان فى كل من السعودية ومصر تعد فتحاً جديداً فى اعادة دراسة تاريخ جماعة الاخوان المسلمون فى إطار الصراع التاريخى المصرى السعودى واعادة قراءة لدور الاخوان المسلمون فى الحياة المصرية داخل نسق الصراع الأيديولوچى بين القديم والحديث .

وتضع هذه الدراسة الأنظمة السياسية ذات المرجعية الدينية أمام إشكالية العلاقة بين الدين والسياسة وحقيقة ما إذا كانت الدولة توظف الدين لحساباتها السياسية أم أن الكلمة العليا تكون للدين فى نظم الاسلام السياسى .

* * *